عاشقة الليل

قصص

أحمد محمد جلبي

سنابل للكتاب
٥ شارع صبرى أبو علم
باب اللوق - القاهرة
الإدارة:
(+202) 23 92 65 93
(+202) 01001094302
المكتبة:
(+202) 23 93 56 56
E-mail
Sanabil_bookshop90@yahoo.com
Ahmed_mmorgan@yahoo.com
Face: sanabil bookshop
المدير العام:
أحمـــد مرجـان

عاشقة الليل

المؤلف:
أحمد محمد جلبي

تنفيذ الغلاف
محمد سيد حسن

رقم الإيداع: ٢٣١٧ / ٢٠١٦
الترقيم الدولي: 978-977-5255-23-5

الطبعة الأولى: ٢٠١٦
حقوق الطبع محفوظة

عاشقة الليل

قصص

أحمد محمد جلبي

إهداء

ابتهج بالحياة لأنها تعطيك الفرصة دائمًا للإثبات، وأن تحب وتعمل ما تحب وتنظر إلى النجوم.. أبي، أمي، أخوتى عمرو، فاطمة.. حقا أنا أهديكم عملى هذا وقد بلغت ساقاى الطول المناسب، امتطى فعلاً ظهر حصان الخيال.. متوجهًا صوب أبعد نجمة. وربما محدثًا ضجة. وربما محدثًا ضجة عارمة.. من يدرى؟؟!

أحمد

التركى حامل الرأس

يقبع فى أحد الغرف، معروضاً وقد ارتدى زيه الحربى العتيد، الفارس من القرون البعيدة الماضية زيه هو ما لفت نظرى أول الامر، تخيلته وقد دبت فيه الروح، يتجول وسط القلعة وفى طرف رمحه الظافرشارة تدل على فرقته الحربية، ما معنى البطاقة الدالة على عصرهُ، هو لم يكن حقيقياً فى يوم من الأيام ، تمثال شمعى قصد به إعمال خيال الزوار لكنه رغم ذلك، كان به شىء حقيقيّ، تلك اليد القابضة على عنق الرمح، تلك النظرة الشرسة الفتية، ذلك الصدر المنفوخ بالهواء تحيط به دوائر الحديد وساعده المتين وقد تعلق الدرع بقصبته، أدركت ان شاكلته تلك لم تتكون فى عقل النحات من الكتب وحسب، لابد لخيال من قضمة صدق، اين تراه رأى ذلك.. فى اليقظة ورحل العقل خلف سرد الكلمات ووصف حكاء القلعه لهيئة فرسان المنصور الأشرف، فى كابوس الخوف الجاثم على قلبه حين تفوه بعبارات الشتم، للمجالس على كرسى ولايه الصدر الأعظم وقناديل الدرك تدكّ الأبواب، بحثاً عن هارب من عدل البيك ـ: من نحت التمثال الواقف بالبهو العثمانى يمثل حرس السلطان أو الوالي؟ ليظهر الصوت المتسائل والمجاوب ـ: تسأل عن فنان

التمثال!! هى أعمال بلا أسماء صانعيها، الواقع أنها تعود لأكثر من قرن، حين اهتمت الدولة بتزيين القاعات وإحياء اماكن التاريخ، كان يردد محفوظات الهُ تسجيل كالتمثال، لن يزيد عن عموميات الشكل قطره علم.. هوالأخر احفوره، خازن اسرار التاريخ، انسحبت بهدوء من جلبه شروحه وتمثلت خطوات التراجع حتى انتهى بى البهو إلى زنزانه، كبل الحديد ساق تمثال المحكوم عليه، كانت قضيته أن شرع فى فك زمام الخيل المجلوبة لفرسان الجبل، بقصد السرقة !! كان يحاول ان يسترد ما سلبه النهابة فى غارتهم الأخيرة على أولاد الناس، وربما كان يفر من قطعان الجلبان وما أكثرهم فى ذلك العصر.. وكل عصر الزمن لم يخفى خدوش التمثال وآثار التعذيب، أخاديد طويلة كالحة على الفخذ والوجه والصدر أيعقل حقاً أن يعى المثال رنة الألم فى مكان كهذا، ويعود بإحساسه لدار فنى سكانها بكل جبروتهم وطغيانهم وضحاياهم! قدرة العقل غير المفسرة على إدراك ما لا يدركه الوعي، وكأنه رأى تأثرى بالمشهد، فأسرع يقول: لا تصدق ، إنْ هو الا خيال فنان أراد التأثير على الزائرين، حسناً، اجدك أميل إلى تصديق ما تراهُ، تجاهل، انت هنا للفسحة تزور مكاناً وترحل بخيالك فى الماضى لترى كيف كانوا يعيشون، انظر إلى طراز العمارة ونافورة القاعه وكرسى العرش والدروع العملاقة...

كانت زنزانة رطبة، اصطف عشرات المعتقلين على الجانبين، أخرجوهم من الزنازين ليوقفوهم فى الممر، حيث تشاهدهم بعثه

الموفوضية، السياسه تلعب دورها فى أحيان، فأنا أول سورى عضو فى منظمة دولية تسمح لها سلطات الاحتلال الصهيونية بزيارة المعتقلين منذ انتفاضة الحجارة.. دائرة من الأضواء الكاشفة، ترصد تحركاتى ضمن الوفد، شعور قاتل بالرقابة، صدحت لهجتى الشامية فى الأروقة تحت الأرض، أصررت على الحديث بالعربية، وشكلت فى اللهجات مرة مصرى ومرة عراقى (عراكى) ومرة خليجى نكايه فى الجنرال عمنشتاخ الذى اصر أن يتحدث افراد المفوضية بالأنجليزية قال لى إيصارى كمال بلهجه أبناء الأسكندرونه ـ: كف يا عبد القادر .. لقد تعبنا كثيراً جداً لنحصل على هذا الأذن بتفقد السجناء ...

هاكذا أنتم يا عرب لا تفكرون فى غير الاستفزاز، لم أجبه كانت حماستى وصوتى قد أشعلت فى صدورهم ومضة انتفاضة المقهور، تحدى الظالم المستبد، شعرت أن جموع الحرس قد بدأوا فى تشديد قبضاتهم على أسلحتهم، ارتفعت الأصوات، ولم تكن أصوات شكوى، لم تكن لحظة ضعف واستجداء.. جئناكم لنسمع شكواكم، هل يعذبونكم، هل .. كانوا يهتفون بأقوى قدرة على التحدى، أصبح إدخالهم الزنانزين مرة أخرى فى غاية البشاعة ... صورنا ذلك وانتزعوا منا الأقلام والساعات والهواتف، انتزعونا من وسطهم من هتافات الثوره واللعنات على إسرئيل ـ: ماذا تريدون.. ألا أحدثهم الا من خلال مترجم..؟ أصر رئيس البعثه على ألا اذكر ذلك فى تقريرى فى مقابل ألا يوجه لى اللوم .. وعلمت ان العضو

التركى إيصارى قد تمسك بإتمام الزياره دون استبعادى من الفريق وهدد الإسرائيلين بالعديد من العواقب الأعلامية، حملت عدداً من الجرائد والمجلات العربية لاعطائها للمعتقلين، كنت أعلم إنه بانتهاء الزيارة سوف يجمعونها، كنت اعلم ايضاً انها سوف تقرأ وتحفظ فى ذاكرة أولُ متلقى وسيعلمون الأن ما تغير فى الدنيا فقد مات الملك وجاء السفاح إلى السلطة وهبط الماغول إلى بغداد.. وأطلّ من داخل ثنايا الأسوار عدة أطفال ـ بين السنتين والخمسة ـ وراح التركى يسأل مشرفة المعتقلات عن كيف تحتمل سجن رضيعة..؟؟ كان يؤدى عمله بمهنية، أحسده، ظلت صورة إطلالات الأوجه من خلف الحواجز والمتاريس وقبضات الصهاينة تزورنى فى كل الأوقات مثلها مثل أوجه تماثيل الشمع، الفرق فقط أن أماكنهم الآن لم تصبح تاريخية بعد، تكرار للماضى الحاضر فى كل الأوقات الصعبة، تلك المرأة الحامل حملتنى رساله لذويها فى (رام الله) لم أعرف كيف أوصلها، فقد رفضت السلطات المحتلة السماح لنا بتخطى الأرض إلى الضفة، وقال لى التركى ألا أصر وأن المهم هو الحصول على قوائم بأسماء المعتقلين الذين فى حوزة إسرائيل والتى ترفض إعطاءنا إياها كامله، أجبته ساخطاً :{كأن الجدل غاية وليس إيجاد الحلول، اسمع منى (ولاك) سأحل مشكله القوائم الناقصة مع الاحتلال وأنت تحمل الرسالة لأهل السيدة الحامل}.، لم يكن من العسيرعلى الوصول إلى القبوة تحت القلعة؟ هنا.. كان يمارس استنطاق المملوك العاصى لأمر

الوالى بأمر وخبر المتأمرين على حكمه، كانت رائحة المكان مقبولة بعطنها... راح يشرح لى كيف أن مياه الأبار كانت تغمر جدران الغرف الضيقة، وكان الواحد يكبل من ذراعيه ويعلق فى السقف لمدة، حتى يُنهك جسده وتنهش المياه الحامضة نصفه السفلى، عندها .. وصمت المرشد السياحى فقد كان كلانا يعرف تتمة كلام السادة..، مازال الحارس الشمعى يقلب فى وجهى نظره، أحسدهُ، الآن هو جزءٌ من ديكور اللحظة، لا يقهر أحداً لينال مال السلطان ويأمن غضبهُ، تخطى التركى الأعراف الدبلوماسية فكونه موظف دولى لا يعطيه الحق فى كسر بروتوكولات اللعبة لكنه أفلح وجاء الدور عليَّ، لم أهدأ حتى حصلت بعثتنا على قوائم أسماء المعتقلين كاملة، أسماء نساء ورجال وأطفال ـ أكثر من خمسين ألفاً منذ التسعين وحتى الآن – كانت ترفض لتعذب عائلاتهم بهم، ليظلوا جاهلين بمصير المعتقلين، كان رئيس البعثة أوروبى حذر جداً . لم يتعود على سخونة أجوائنا ودمائنا، نعم !! عيب فى التركيبة، تركته يتحادث فى الخارجية المصرية وجامعة الدول العربية، عن إنجازات الزيارة وكيف انتهت ويبرهن للعرب أنه يمكن أخذ الحق بالحرفة، مشوار الصباح القصير، أفضى بى إلى جامع السلطان حسن، أخبرنى حين رأيته أنه آت لتوه من عمان قصد الفندق وعرف أين أقضى فترة الإجازة الإجبارية. ـ : هل وصل المكتوب لأهل المعتقله؟ ـ : لا.. حتى تخبرنى كيف انتزعت قوائم بالأسماء الكاملة فالأمر بينك وبين رئيس المفوضية لا يعلمه باقى الأفراد..؟ همست

ـ: هددت مندوب اللجنة الدولية أنى فى المؤتمر الصحفى سوف أعلن ان الأسماء المفقودة والمغفلة وجدت أصحابها مقتولين فى سجون الاحتلال وأن لدى قائمة بأسماء القتلة فرداً فرداً عسكريين وسياسيين فسلمونا أسماءالمعتقلين وحالاتهم وأين هم وتحققنا من ذلك. صفق إيصارى بيده: عمل رائع.. ـ: وأنت..؟؟ ـ: لا، لا طائل قلت لك من قبل إنها حالات الحرب فالعربيدة كانت ترقص عاريه امام هيرود رشق رصاصها رجال الأسره وأحرق القرية وجزت رأس الأب، أخبرها يا عبد القادر .. إن استطعت .

طعن فى حكم الحب

فوضى كاملة وظلام، ارتطام، ساق تتقدم ساقا، تحسست نقاط ومواضع، لامست يدى زر النور، يوم آخر ينتهى بى للمكان، عقب وصولى مباشرة وثب الهاتف، أعرف انها تتحدث دائما فى ذات التوقيت.

تولى جهاز الرد الآلى المهمة، ارتفع صفيرهُ ومن ورائه صوتها يصرخ بعصبية شديدة: أنت اذن لا تقدر تضحياتى وتعتبرنى (بايرة) ورامية نفسى عليك، طيب حتشوف؟، ارتطام آخر صك أسماعي، خاطرت بالاقتراب منه وإعادة شريط الرسائل المسجلة، وقد تركت لى عددا آخر كبيرًا قبل رسالتها الأخيرة، تذكرت عددا آخر من نصائح الأقارب والأصدقاء ألا أقترب منها، تستاهل ادفع ثمن غبائك واندفاعك نحوها، سوف تضغط على أعصابك من الآن ولشهور قادمة، كانت دائما كابوسا، لم أبذل ضدها ما يستحق من المقاومة، فضلت أن أهرب من الساحة، أغلق كل وسائل الاتصال، ذلك يمنعها حتما من حشد قواها، لن تطولني، نعم سوف أظل هاربا لشهور طوال، أطول من تلك المدة التى اختفى فيها خطيبها السابق صحيح أن موضوعنا لم يصل إلى إجراءات الارتباط الرسمى مجرد كلام وجس نبض، إلا إنه

لم يمنعها من أن تعتبره كما لو كان كتب كتاب، لو كنت أعرف.. آه لو.. لا فائدة، تلمست طريقى حتى السرير وسرعان ما غرقت فى كوابيس جديدة تماما.

❖❖❖

يمتلك بلورة سحرية، يمكنك أن تشاهد فيها صفاء السماء وغروب الشمس وزرقة البحر، لم أصارحه بأن عينيه تأسرانى بشدة، أحس بأننى أتطلع فيهما بجرأة من له الحق فى الإطلال على روحه من خلالهما، سمح لى دونما مساءلة، مثلى لا يريد إفساد متعته، ما يبثه هذا من غرور فى كيانه وهو يرانى تابعة مقتفية أثر خطواته، أثر نظراته وكأنى لا أريد أن يتحول عنى لحظة، أعترف بأننى أجرأ منه فى التعبير عن مشاعرى لكننى لست ماهرة مثله فى جذب الآخرين إلى جانبي، تعارفنا جاء بسيطا وأحسبه عفويا تماما، جو خريفى مثالي، قدم نفسه قبل أحد الاجتماعات فى المؤسسة التى أعمل بها، جاء مسلحا بإحصائيات وخرائط للأسواق وخطط تباهيت بأننى مهندسة التصميمات فقال: أعمل مع هشام أبو الغضب، طفح الاندهاش على وجهى فأسرع يوضح: هشام أخو المهندس هانى مدير ادارة الشركة، أطلقت عليه هذا الاسم لأنه لا ينفك يغضب على كل وأى شيء، ابتسمت فى جفاء وأنا أردد: جرأة تحسد عليها، عقب بتحد: إنها كذلك فعلا؟ ابتعدت، لم يعجبني، لا طريقته ولا معابثاته التى تصل لدرجة الاستخفاف

بمديريه، لكنه نجح فى تشتيت تركيزى فى عملى لصالح أن أتابع ما يقوم به، كان قد استحوذ على جميع من فى صالة الاجتماع، يدعى أنه عليم بحركة السوق، كيف يتم ترويض العملاء، ويجعل من موضوعات الماركت فى خانة الإثارة رغم جفاف بحوث التسويق والأرقام، أصبح هشام مديره المباشر مؤيدا ومناصرا لاقتراحاته بحماس، صديقان يغطى كل منهما الاخر، أظن إننى انبهرت وقتها، حسن هذا نظرتى إليه، بدا مناسبا لفتاة مثلي، عرفت طريق إدارة المبيعات والمنافذ ومعارض الشركة فى القاهرة والمحافظات، أصبحنا نخرج معا، أخترع مبررات لالتصاقى به فى العمل وبعد انتهائه، تغير طعم الدنيا، نظرت فإذا اليوم كئيبا إذا لم ألتقيه، الدقائق ساعات والأيام دهور إذا سافر وبعد، مضت الأيام مسرعة لتقارب العام وانتهزت أول فرصة تالية لكلام مباشر فى سبيل عرض واضح، فى أثناء عشاء هادىء قال: رائع ذلك الثوب، ماذا فعلت كى يكون هكذا، يتملقنى بشدة أو قد حان الوقت :كنت قلقة ألا يعجبك، فالكم قصير ويصف الذراعين، أسرع بالمقاطعة ـــ: لكنه يخفى الصدر والسيقان وهذا هو المهم، ارتسم تعبير على وجهى دهشة وامتعاضا، أكمل: أعنى أنه جميل ويصد لصوص النظر، أدرك ويعجبنى ذوقك الراقى فى الاختيار، ها قد بدأ يتصنع المديح، عباراته تخرج مضطربة وباهتة وتغيرت ملامح وجهه، سارعت بانتهاز الفرصة: كنت قلقة ولكن لماذا أقلق تعابير الاستفسار لاحت على وجهينا وهو يردد عبارة القلق ذاتها، تراجعت يده الممدودة عبر

الطاولة وتحركت أقدامه تحتها، هززت رأسى مرات: ما بيننا قد أصبح حالة تستدعى العلاج، حوارات تليفونية لا تنقطع ليلاً أو نهارًا، شكل العلاقة بيننا يضايقني، يضغط حتى فى أحلامي، حلمت أننى أقبض على رقبتك بكلتا يدي، ضحك: لا يزعجك هذا فهو فأل حسن، حين تتعلق فتاة برقبة حبيبها فهى إشارة لارتباطهما.

ما عدت أدرى إن كان يتهكم ليخفى مفاجأته بهجومى أم هو جاد ونيته تنصرف إلي، قلت فى نفسى لقد اقتربت من مما أريد.

❖❖❖

آملاً ألا يراه النائمون، تخفى النور وصعد رويدا حتى قمة سطح البرج المقام على رقعة ربوة فى ارتفاع التل السامق، قادمون من مسافة، سنفطرُ معًا، استقبلنا نباح كلب صغير، بالكاد يعرفنا لو أن ذاكرته تحتفظ بلعبنا معه وبه كان يرمح وراء السيارة وهى تقترب من المنزل، ليس منزلا، انها أرض وحديقة ودواراً بسعة القصر، لا يربون كتيبة كلاب، مجرد عجرود أبيض نادر المثال يضيف وجاهة طبقية على ابنتهم شودي، كان ينتظرنا على أطراف السلم تخطاه حتى وصل لمكان إيقاف السيارة وما هى إلا لحظات حتى احتوانا التراس والترحاب الحار، سارعت بالقفز حين أطلت، تنتظر قدومنا بالتأكيد تفاصيل كثيرة تغيرت لا تخفى عن عين مراهق يلتقى برفيقة صباه، تصنعت الوقار وهى تميل مقبلة أمي،

أختى الأصغر، لاحقتها عبارات صرت كبيرة الآن، لا أنكر، جو البلد بيكبر قبل الآوان، ألن نلعب؟!، صيحة استنكار: ولد؟! يضحك عم هشام ويقذف بكلمة: يشبهك، تتدخل أسماء الصغيرة: أنت لن تلعب معنا؟ قاطعها: ليس اليوم، من باكر أما اليوم فمسموح باللعب حتى مطلع الفجر، لم أكن أريد أكثر من ذلك، سرعان ما احتوتنا المروج حتى الغروب، هذا آخر عهدى بتفاصيل حياة الأولاد، انتصف الليل ودارت الألعاب وانتهت، صاحت فى لحظة انتصار والنوم يداعب جفون أسماء، لا نوم حتى يحين صباح اليوم التالي، تمطعت بتثاقل وقالت: أنا باص، التصريح لـ تامر لا يشملني، الآن أود أن أنام (بحركة صبيانية) سوف نفتقدك كثيرا يا أخي؟ تساءلت شودي: بجد، إذن ستفوتك حكاية زواج أمك من أبيك فقد أوشك ألا يتزوجها وأبى هو الذي...، تصبحى على خير اسمعيها من تامر فيما بعد، تنبه كلانا، انخرطنا فى محايلات حتى بدأت القصة.

❖❖❖

كى تخرج كتابا من رف مكتبته عليك بإخراج آخر، ربما وضعته المصادفة على يمين أو يسار الذى شد أنظارك عنوانه، لمع ببريق الافكار وحين انتزعته وتخلخل من مكمنه وكأنه حجر ينفصل عن جبل كان لا يزال الرف والصف متماسكا، غلاف أنيق فاخر التجليد، عنوان مثير للخيال، المؤلف؟ غريبة إنه اسم والدى تامر صالح، سنوات الألف حكاية، طالعت العناوين، التواريخ، يسرد

قصة حياته، صوت نداء يتكرر مكتوما فى بادئ الأمر ثم مرتفعا وهو يحث الخطى نحو باب المكتبة، ساعدتنى خفة الحركة والأركان المظلمة وتعاريج ومنحنيات الجوانب على التخفي، أطلت وكل شيء هاديء تماما، كما تركها قبل الرحيل، تحافظ عليها نظيفة من الغبار، ولولا ذلك لعرفت باقتحامى المكان، قررت أنه من المستحيل التخلى عن كنزى فذكرياتى عنه لم تتعد صورته الباسمة فى بواكير الطفولة وعددا قليلا من صور الألبوم اتخذ الكتاب موضعه بين حنايا الصدر، أحكمت عليه حزام الترننج وتحركت بخفة مغادرا مغارة الأسرار، أخفى عنها تحدر الدموع كلما انتهيت من قصة له، لحظاته بين الترح والفرح، عاش سنواته متفائلا قادرا على إشاعة الحب فيمن حوله، بقيت قصة، قصة واحدة وينتهى الكتاب؟! أرجأتها حتى يحين الميعاد.

قادمة من بعيد

ليس مما يليق ألا تبادل زائرها الحديث. وتكتفى بإشارات وهزات متتالية من رأسها، وابتسامة ممطوطة متكلفة. كان يتكلم وهو يسمع صوته صاخباً فى أرجاء غرفة الصالون. تبريره الوحيد للاستمرار انها لا تعترض، سمح لنفسه بعد فترة من الحديث أن يبدأ فى استجوابها وانتظار الإجابة ثم تخطى الحاجز النفسى المباشر وقفز إلى ندائها باسمها مجرداً بلا لقب آنسة.

مروة سمعت من زوج خالتى انك تعملين فى منزل السحيمى الأثري، تضايقت من انه لا يعرف وظيفتها كمفتشة آثار. تكلم عن مكان عملها وكأنه لا يعرف أى قيمة له، انتظرت أن يبادر بالتصحيح أو الاستيضاح الا انه لم يفعل بل استمر يتنقل من موضوع لآخر. أوقفته بإشارة من يدها، أستاذ محسن ماذا تعرف بالضبط عن وظيفتي، بهت للحظات ثم قرر ان يفتى فقال أعرف إنها وظيفة عظيمة، لا يزعجك فيها أحد، تقابلين مهتمين ودارسين للآثار الإسلامية من الأساتذة أو السياح وربما تشرحين أهمية الأثر مثلاً.

ثم أكمل: الواقع إنها وظيفة مطمئنة للغاية أفكر ألا أجعلك تتركينها بعد الزواج قاطعت: ومن قال إننى سوف أترك وظيفتى بعد الزواج، بل ومن قال إننى أوافق أصلاً على الزواج بك-: آه فى هذه الحالة اكون قد تسرعت فى استنتاج موافقتك. حقك فأنا اقابلك لأول مرة وطبعاً هذا زواج صالونات ولست مطالبة بابداء الرأى حالاً نظرت حولها وخلفها. الصالة وراءها ازدحمت بأهل العريس وهداياه وثرثره التعارف. تركوهما يحاولان معاً الوصول إلى نقطة تلاق. اطمأنت إلى أن احدا لا يسترق السمع. لا يحسون بأى توتر. لديهم يقين بتمام الموضوع. البنات بالملايين من كل لون وشكل بلا. الأمر لا يشغلهم كثيراً. فجرت قنبلتها بهدوء شديد. اخشى اننى لا اصلح لك. ابتسم فى مكر اطل من عينيه اللامعتين وقال أنا اعرف ما يصلح لى وليس لك ان تدخلى رأسى وتنبئينى عن نفسى قولى عن نفسك، بوغتت بهجومه.

: نعم معك حق أنا لا أريد الزواج، منى بالذات أم على الاطلاق لا ليس منك بالذات، لا أريد الزواج الآن، عظيم إذن متى تريدين الزواج هذا ليس موضوعك، ليس موضوعى لا أنت قلت إنك لا ترفضين الزواج منى بل ترفضين الزواج؟ الآن إذن هو موضوعى لأننى موافق على ألا يتم الزواج الآن، احست بحصاره وتحفزه وأن المناقشة الموضوعية الهادئة قد تنقلب إلى حوار عالى التردد، سلمت بوجهة نظره وقالت فى استسلام بعد عام على الأقل من الآن.

بعد عام تعنين ليس هذا العام لماذا؟ أسباب العمل والدراسة أنا أحضر رسالة فى تخصصى صعبة تشغل وقتى ولا أريد أن يعوقنى زواج: خلاص موافق تتم خطوبتنا هذا العام والقادم الزواج والدخلة ولن استعجلك فى شئ. ولكنى لم اوافق بعد. لا يا مروة انت وافقت واشترطت وانا قبلت الشرط وعلى العموم تعلمين اننى اعمل فى ابو ظبى ولن انزل اجازة الا العام القادم فلا تعقدى الأمور. استسلمت لمنطقه. فرض عليها الحوارات، وقنا عند هذا الحد قام إلى الأهل وأعلن وسطهم الاتفاق. تلقيا التهانى والفرحة وقفا وقرءا الفاتحة قالت لها أمها إنه لطيف خفيف الظل. أحبه أخوتها. قال لها أبوها إنه راجل فى تصرفاته انظرى كيف أنهى كل المحادثات عن العفش والمهر والمؤخر بالأصول والعرف ولم يسمح لأحد من أهله بالتدخل فى الحوار، حتى زميلاتها أثنين عليه وعلى تفهمه وما أحاطها به من احترام وهو يزورها فى منزل السحيمى الأثرى ويتجول به ويوزع على الجميع هدايا صغيرة من الشيكولاتة الفاخرة احتفاء بالخطوبة. وحدها ظلت مترددة.

تشعر بأن سيطرتها على حياتها قد انتقلت إليه. فجزئ الحرية فى أمورها الشخصية اصبح له فيه رأي، رأى نافذ المفعول كالفرمان السلطاني، لم يحاول ان يخفى هذا، تصرف كأمير من البيت المالك لأمرها، وأصبح شغله الشاغل خلال الإجازة، انتظارها بعد العمل ليقوم بأخذها إلى أى مكان تتمنى أن تزوره.

برغم زحمة القاهرة وبعد المسافة بين الأزهر والبيت كان غالباً ما يصل فى التوقيت المناسب وغالبا ما يوصلها لبيتها بعد الفسحة فى فترة السماح والمسموح، وحدها ظلت تحس قيدهُ فى عنقها برغم الشبكة الغالية التى ألبسها إياها يوم الخطوبة. وحدها ظلت تراه غير مطمئن يخفى وراء وجهه اللامع البشوش شخصية صارمة تحكميه. يقرن ذلك بالتنفيذ عبر سلسلة من الخطوات الصغيرة الجريئة ليقتطع فى كل مرة جزءا من حريتها لصالح خضوعها له وبالتدريج دارت فى فلكه، أصبحت تفكر فيه، سافر لعمله بنهاية الشهر. ترك فراغاً كبيرا لم يبدده اتصال أو ثلاثة فى اليوم، ارسل لها بريده الإلكترونى الخاص بها وحدها. بحثت عن نت كافية جيد لتتواصل معه عبر الشبكة، وتدخل مع عالم الدردشة الطويلة كل يوم، الآن تزوره على الشاشة عبر السماوات المفتوحة تراه ويراها من خلال كاميرا ديجيتال متطوره ترصد كل شئء حتى الأحلام. ترى المنزل الذى يسكنه والطعام الذى يطبخه والشوارع والبيوت. تعيش معه عشر ساعات يومياً، عبر الإنترنت. حتى اصدقائه فى الغربة البعيدة تعرفهم، عرفها عليهم، يشاركها مشاكل اليوم ويبحث لها عن مواقع قد تفيد منها فى رسالتها.

زارا معاً مواقع فى بلاد كثيرة طرقا معاً آثارا اسلامية فى الهند حتى حدود التبت ووسط آسيا حتى الفولجا. ذكرتهما بفسح أيام الخطوبة فى القاهرة. واقعان متوازيان يعيشانه عبر خطوط الأتصال

عبر رسائل طويلة قادمة من بعيد تعبر جدران العالم المرئى وتتلاشى الصور امام الشاشة لتحل محلها علامات انتهاء الإرسال. أهكذا سنعيش بعد الزواج شهرا أو شهرين والباقى عبر الهواء. طائرة لا تحط فى الواقع، على أرض خيالية لا تلمس أو تحس عبر خطوط الكاميرا والميكروفون وسماعة التليفون ورسائل مقتضبة لاهثة تنتقل فى التو واللحظة، ضحك لها كثيرا. لم يجب على السؤال، أرسل لها علامة. من علامات السوفت وير.

حدود تبين المجال

حين دُعيتْ لحفلة تتويج خاصة. قالوا لى ستقابل ملكة. فى هذا العصر، عصر العامة، كانوا يتحدثون بصوت واحد، نعم ملكة ولها اتباع وبطانة وفرسان أيضا والليلة سنأخذك إليها، صدقت الكذبة. ما أروع الأكاذيب غير الضارة. كونك واحدا من عشرات وسط جموع الناس ومشاغل الدنيا تحط عليك... كونك واحدا تسلطت عليك زوجتك فسلبتك المنزل والأسرة والأولاد، قاد الموكب وسط زحام مراد، أحدهم بحماس قال: أتراهم جميعا يقصدون القصر، لابد للملكة من قصر فخم، كما هو يطل على النيل قصر شوقى أمير الشعراء، قدمنى صديق من رعايا الملكة إلى السيد القابض على مراسم حفل الليلة، هذا هو مدير قصر أحمد شوقى الشاعر على عمران، خذ مكانك بين حضور الصف الخامس. فالصف الأول محجوز لوزراء الملكة والثانى للوجهاء والثالث للعشاق والرابع للشعراء وهكذا، نظرت فإذا هناك صفوف خلفي. تمتد حتى الباب؛ وإذا هناك وقوف بالشرفة ينتظرون قدومها، لعل الليلة تكون سلوى عن أحزان الأمس، حدثت نفسى بالانتظار. القرار كان قرارها. هى

أرادت الانفصال والأولاد، والبيت، بل وحتى السنوات الكثيرة السابقة. لن تأخذ شيئا. فأنا أنفيك بعيدا عن بيتك، أنا حاضنة وأسجنك بحجة أن بددت أثاثي. وأنا، آه ماذا عساه يكون عليه وجه الملكة. تلاشى الناس من حولها فجأة ورأيت الملكة تخطو على السجادة الحمراء، حتى منصة الإلقاء. إلقاء الشعر، زادت طولاً حين ارتقت السلم واطلت علينا من علياء، همست حين تجمدت الأصوات وتسلق الصمت السور - : ما اسم الملكة؟ زفر صديقى : فـ - فاديه .... نصـــار!! ذات رداء أسود من قلب الليل، فى وجهها ندبة، عيناها فى روعة أرض ذات نخيل، لا تنظر فيهما أو تتحدى، صوتها أعذب من أى هديل، قالت فى ومضة كلمات، نفذت مباشرة نحوى فى سرعة سريان النور وتبدل الون الفجر، والتقطت أذناي، أسطر ظلت عالقة بالذاكرة!! لم أتحمل صفع الكلمات، كلها سلاسل أكاذيب، أنا لا أعترض على أحلامك وأمانيك، لكن الأمر خطير حقاً أصبحت أحاكى تمثالا صنعته يداك، أصبحت أخافك من نظرات فى عينيك، نظرة مثال إلى الصلصال يعرف كيف كيف يشكله، يعرف أين تكون الأنف. أين يكون الفم . وكيف يبدله، أبدلت الأمس باليوم، البارحة كدت أفقد حياتى بسبب الضغط وانتابتنى رعشة فى يدي، قالوا إنها سوف تزول بعد أيام. المهم أن أتناول الدواء باستمرار. حقا هذا الزمن عجيب، لا شيء أبدا يذهب أدراج الريح، كابوس واحد يتكرر فى كل الأحوال. على ألف. ألف مهمة بين اليقظة والغفوة والترحال، على إطعام الأفواه بلقمة أو قضمة، على

إسكات الجوعى وقطر الماء من الأوحال، نعم كيف أرتب فى الفوضى حياتي، وأنتم أغلقتم كل الأبواب بالأثقال، كيف سيعيش أولادى بعد أن فعلت تلك المستبدة كل ما لم يخطر فى بالى كى تأخذ كل شيء. أفقت على تصفيق الحضور، هذا هو الكاتب المشهور يقول لها أحسنت، انتبهت إلى إننى أيضا أصفق لها بشدة وحرارة أشعرتنى الحرارة بسريان الدم فى عروقي، مال صديقى وهو يقول اعلمت لماذا يدعونها ملكة. انها تشد وترخى كما تريد؛ وكل هؤلاء عشاق شعرها، انظر كيف خرجت مما كنت فيه من قهر المرض، وافقت على رأيه، فكرت كم تلهى الكلمات، ماذا لو أنى أسير هناك عند الوديان المنسية. تحمينى وأنزعها ثوبي، أشجار السنط الغجرية، ماذا لو ان فروعى زادت طولا، أمسكت الشمس أو نلت شهابا، أتصير حواؤك غيرى واعود كما جئت ترابا، بل، سوف أعود، عندى أغنية وعندى مجداف جزء من أغنيتى شعر والباقى لحن وزفاف. لم تبق فى الدنيا دروب، وكذلك لم تبق ضفاف، يا لهذا الجمع، إنه يوحد بين المشاعر. تذكرت كم كانت هوايات صغيرة تزيل تراب وعوالق ما فى النفس، كان الحضور بدأوا فى السلام للإنصراف. تقدمت منها شكرتها ومددت يدى لأصافحها، كانت يدى ثابتة قد فارقتها، رعشات الأمس، بل أراها قوية، أبقت يدها للحظات وقالت فى ثقة ـ : هل اعجبتك الأمسية الشعرية؟ نعم، ـ: إذن نحب أن نراك فى مملكتنا دائما، تتخطى السور وتأتي، سوف أعود. لا أحسب أننى خسرت الجولة بعد، ستجدنى أقفز بين

الأحياء فى المستقبل وأطل برأسى من جديد، فى حياة أولادي. فالأمر أحدث تخلخل فى الأرض تحت قدمي، ولكنى أطل من نافذتي، لا أحلم، لا أتكلم. تسمعنى إرادتكم رغما عنكم، أحصى خفقات قلوبكم. يحمل برد الصباح إلى تنهدات صدوركم. تتناوب على أحلامكم، أفكاركم، أرسلها فى سئم إلى منامكم، كما أشقى وأنتم تغالبون النعاس؟؟.

شجرة على مساحة الضوء

حدق فى ظلمات الغرفة، انتبه من عشرات الأحلام والكوابيس التى جثمت على صدره لعشر ساعات متقطعة، متقلبا بين الغفوة والصحوة، تدور به الأفلاك موغلة فى الظلمة حلق فى فضاء خرافى أسطورى الأعماق لم يستوعبه عقله الوسنان، فى تلك اللحظات اجتاز اختبار اليقظة حين فرك عينيه وتطلع للسقف يريد أن يرى شكل الكرانيش التى تحيط بالنجفة المنطفئة، تطور الأمر ليميز شكلها الذى يحوى ذيلا من نباتات زخرفية طراز يونانى قديم لفرعين من أوراق الاسكنثيا يحيط بنجوم وزهور. كلفه عملها ثلاثة أيام من الرقابة الصارمة لتجليات الأسطى فتحى وتأمره عليه وكأنه يؤدى شغله مجانا أو كأنه هو المهندس لا هو. كلفته الحوائط والغرف كثيرا، ليعيش بها وحده، عند هذا الحد أحس بأنه أفاق فعلا. لم تكن به رغبة فى القفز سريعا من الفراش كما اعتاد دائما. فأخذ يتذكر على مهل الكابوس الذى راوده البارحة، شعر بعقله ينشط وحاسة الذاكرة تتدخل لتسرد وقائع هائلة. يراها أمام عينيه عن وعى بعد أن كانت تتصرف به فى طغيان شديد وهو فى اللاوعى الأسود الكئيب، كانت باسمة الشكل بيضاء البشرة لم ير

أروع من بشرتها المحمرة الخدود وقد ارتدت ثوبا، أسودا طويلا بشرائط حمراء على الأجناب جعلتها كالتنين الأسطوري، لم يظهر لها شعر فالثوب يغطيه. ولا قدمين، وبقدر جمالها وابتسامتها البشوش بقدر ما خافها وهاب أن يقترب، حدقت فيه طويلا ثم نادته أكثر من مرة تعال قال لها إنه لا يعرفها، عندها طار فى أفلاك الفضاء. رأى النور أمامه ينبثق من العتمة وهو يجتاز السماء بسرعة خرافية وقد امسك بأطراف ذيل فستانها حالك السواد ذى الشرائط الحمراء، سحابة من أضواء شتى تحمل آلاف النجمات، لولب من الدوائر تلف به، فزع حتى الرعب. ظل يمسك بطرف الشرائط. حتى داخ وأفلتها، هوى إلى الأرض. تلقفته بهدوء وانسيابية وجعلت ارتطامه بطيئا جدا صار فى يدها كالخيوط أو الورق، تحول واستدار ثم طرحته وجمعته وتحول إلى نبتة من عشرة أفرع، يداه فرعان، وكذلك رجلاهُ ورأسه أصبح أفرع سمع وبصر ولسان وأنف أصبح شجرة بعشرة فروع نبتت من أرض فيها مياه تسقيها تلك المجهولة ذات الوجه المتورد، بل تظلل فروعه عليها حين تشتد الشمس حرارة، مازالت تضع نفس غطاء الرأس الأسود ذو الأشرطة وتلبس نفس الثوب وهو لا يبرح مكانه، أما فروعهُ تتمايل حيث تسير وإن ابتعدت زادت طولا. ما معناه؟ ما معناه هذا الحلم الكابوس المعتم رغم النور ورغم الشمس ورغم الوجه الباش المتورد، كان ضيق الصدر حين رآه وحين تذكره ضاق صدره أكثر من يدرى لعله خير، لغز التفسير يحير عقله، أرغمه على التفكير فى

تفسير ماذا يعنى ذلك،نوران الوجه وضوء العتمة سحابة الأضواء والنجوم تقابل وتضاد. رغم القدرة على تجاهل ما لا نفهم، لم يقنع نفسه بنسيان الأمر تماما. أغرق نفسه فى أمواج التعامل والعمل، والبشر وأحداث الساعة، ظل يطارده لغز التفسير، ومقاطع من رؤياه تطل فى ثنايا عقله الواعى المنهك بالوهم وبالتفكير النسيان أداة العاجز، التجاهل أشعره بغصة وكأنه يفعل غصبا مالا يريد، لم يتحمل ذلك، زادته الجولات اليومية كآبة، فتش عن سهرة بين معارفه القدماء زملاء وأصدقاء حياته، معهم قد ينسى تلك الرؤيا الكابوس التى تنطبع الآن فى ذاكرته،. فالمرأة تظهر كالتيكون المارد وتلعب بأفكاره فى اليقظة حتى إنه اعتاد اقتحامها له من وقت لآخر بتفاصيل أكثر وضوحا، وكأنه فيلم اجبارى تراه كل يوم، إنها هلوسة بصرية تأثير الدخان وتلوث المكان والأطعمة الجاهزة، بل والوحدة البيتية التى تسكنك وأنت تتخطى سن الأربعين، ربما عليه ألا يصير وحيدا، ففى ليل المقهى يجتمعون كل أسبوع، يتجاذبون الحديث فى كل شيء، حتى انهم أطلقوا عليه حديث الأربعاء، لم لا.. ليسمع ويحاكى الآخرين مرح الساعة، لم يفاتح أحد فى رؤياه، قد تفضح شيئا ما فى داخله يريد الا يطلع عليه الناس. شيئا خاصا، أحسه فى أعماقه معقدا وكثيفا، حتى عثر على صديق غامض يقاربه فى العمر، لا يعرف عنه سوى الاسم والوظيفة وأنه متحدث جيد فى كل الموضوعات، فاتحه خلسة رغم أن كل شيء مشاع السهرة. رؤيا تتكرر أهمنى ان أعرف ما تعني، أدرك الغامض ما

يعتمل بعقله فقال لا تقصصها الآن ابق حتى نهاية السهرة. عندها قد لا نحتار فى التفسير وينقلب الليل لنهار، بعض الأحلام مثل الدنيا من أفكارك. قد يتحقق أمر وقد لا تتحقق كل الرؤيا، رموز من دنياك مثل المرأة والأغصان ومساحة الضوء الذى تتحرك فيه، الخوف من المستقبل وكيف تعيش الآن وحدك، لا تحمل هما قد يرضيك التفسير وهو غير مؤكد. استراح كثيرا ذلك تأويل الرؤيا، ارتضى تصور الصديق الغامض، لا شيء إلا أمور الدنيا العادية، السعى لكسب العيش والرغبة فى التطور، سوف يستقر كجذع الشجرة. تميل مع الريح فى تُئدة وتحجب الأفق وحر الشمس، نوران قد يزينان حياته ربما الأفرع أولاد أو ربما أقارب، لكن من هى المرأة. من تلك البيضاء المحمرة فى ذات ثياب السحرة السوداء كاهنة الرؤيا ذات النور والظلمة والشرائط الحمراء؟

العملية كورال سي

من ملفات المخابرات - حرب الاستنزاف :

النداء الاخير للرحلة ٧١٦ المتجهة إلى عدن، صوت صادح قوى بلمسة أنثوية لبنانية، كان الموظف المسئول عن البوردينج يوشك على أن يأخذ استراحة حين تملكتة الدهشة لذلك الراكب البطى الذى يتجه نحوه، ما له لا يهرول للحاق بالطائرة، سمح لنفسه أن يلقى نظرة خاطفة على جواز سفره، طبيب، فى منتصف الاربعينيات، تابع بروده المستفز وما إن غاب وراء الحاجز حتى تتابعت التحركات بسرعة وكأنها كانت فى انتظاره وسرعان ما أخذت الطائرة خطواتها على المدرج، لحظات وكانت طائرة الجمهورية العربية المتحدة تحلق فى سماء بيروت متجهة مباشرة إلى الرياض ومنها إلى عدن، انشغل الطبيب بالنظر من النافذة كل شىء يسير بطريقة طبيعية تماما، شىء ما يكسر المشهد لم يلتفت إليه أحد، تلك الحقيبة التى إلى جواره فى الكرسى بدلا من أن توضع فى المكان المخصص لها، لم تكن كبيرة بالمقارنة بالهاندباج التى يحملها الركاب الاخرين إلا إنها تسبب ضيقا لكرسيه على أية حال، استجاب ليد الرجل الذى إلى شماله الذى قال بالإنجليزية: بوريس، دبلوماسى الماني، صافحه وقدم نفسه: إسماعيل، طبيب مصرى

(قال اسمه بالإنجليزية مترجما معناه) اتسعت حدقتا بوريس غير أنه أكمل التساؤل: جراح على ما أظن؟، أجابه: نعم مخ وأعصاب وأستاذ بجامعة القاهرة هل ستنزل فى الرياض أم عدن؟ حول بوريس لغته إلى العربية وابتسم مستعرضا: أنا قنصل عام سأزور عدن وأعود للرياض، هز الدكتور رأسة قليلا فى حين قدم الدبلوماسى بطاقته، سارع بإخراج بطاقته هو الآخر مع عدد من كلمات المجاملة عن الأمة الألمانية العظيمة، طرب الألمانى كثيرا ثم انشغلا بالحديث عن السياسة واضرابات المنطقة كان الألمانى يحفظ الكثير من المعلومات التاريخية لكنه لم يردد الدعايات الصهيونية، فى مطار عدن تحرك الألمانى بسرعة شديدة بحكم وضعه الدبلوماسى بينما علق الدكتور إسماعيل مع موظف الجوازات الذى حاول التخفيف من ملل الانتظار بالحديث باللهجة المصرية متعللا بأن أوضاع البلاد بعد حركة تمرد ١٩٦٩ ما زالت غير مستقرة، استقرت عيناه على صورة الرئيس اليمنى سالم ربيع لم يتغير كثيرا عن أيام معسكرات الجوالة، الرئيس صديق شخصى للدكتور، بل وأكثر فقد حضرا دورات تدريبية معا، كان الوقت قد أشرف على الخامسة صباحا حين انتهت الإجراءات بصورة طبيعية ليصحبه مرافق يمنى من وزارة الصحة إلى استراحة أعدت لإقامته، أفاض اليمنى فى سرد تاريخ المنزل وإنها كانت مقر إقامة قائد سلاح الجو البريطانى وأن البناء العتيق مبنى من حجارة الجبال بشكل مصغر لقصور الإنجليز اللوردات، كان

ما شغل بال الدكتور وقتها هو باقى طاقم فريق عملياته فالواضح أن هذا المرافق ليس على مستوى تدريب جيد، لقد اختاروا شاب قليل الخبرة والصبر ولم يكن لديه أى استعداد لإصلاح هذا الخطأ، قال له أراك نحيلا، ولكنك تبدوا فى صحة معقولة؟، ألا تأكل جيدًا؟ معللا بصدق: والله يا دكتور حاولت أن أزيد بلا فائدة، يبدو لى أن النحافة شىء قديم فى الربع! أخرج إسماعيل عبوة من حقيبته : خذ من هذه حبتين فى اليوم وقتى الغذاء والعشاء وسوف ترى فاعليته. شكره فى حبور ولم ينس أن يردد بلهجة ودودة عبارة إنشائية بترحيب حكومة اليمن الشعبية به على أرضها، هم بالانصرافِ إلا أن إسماعيل رجاه أن يرسل هذه البرقية (زوجتى الحبيبة، تسلمت العمل فى مستشفى عدن العام، قبلاتى للاولاد يبدو أننى لن أحضر حفلة فيروز، تذكرونى فى رأس السنة. (العنوان لبنان - بيروت /الأشرفية ١٨٥ ص ب ٨١) أضاف الموظف تاريا إلى البرقية ((٩ ديسمبر١٩٦٩)).

❖ ❖ ❖

رفعت سلفانا رافائيل سماعة الهاتف وانتظرت قليلا حتى جائها صوت (مائير عاميت) كلماتها كانت محددة وحادة، دعاها لمقابلتة فى لوبى الموساد الرئيسى قبل الاجتماعات كان عاميت قد ترك رئاسة الموساد في..... (١٩٦٨/٩/١) ليخلفه تسفى زامير الذى بدأ من فوره تصفية وجود أتباع عاميت فى الجهاز، فى ثوانى كان زامير يستمع لفحوى مكالمة سلفانا كان دورها قادم فى

التصفية وعالم المخابرات الإسرائيلية متشدد فى هذه الناحية خاصة أن زامير وقتها كان ينتظر تقرير عن سرقة زوارق شيربوغ من قلب وزارة الدفاع الفرنسية بعد سريان حظر ديجول لتصدير السلاح لإسرائيل، (بداية قوية ليس لدى أى شك) هكذا أعربت سلفانا عن رأيها حين التقت بعاميت الذى بحكم منصبه السابق أصبح مستشار يرجع إليه خاصة أن عملية سرقة الزوارق المسلحة من فرنسا كانت بدايتها فى عهده، لكنها اشتكت من محاولات جادة لإقصائها من مركزها فى جمع المعلومات وتحليلها وبحدة قالت: ماذا يريد زمير بالضبط، أرجوك أريد أن يتحدد مصيرى المعلق حتى لو انتقلت إلى أوروبا لملاحقة (رجل) أو مراقبة (منزل)، طمئنها عاميت بكلمات غامضة، وثوانى وجاء من يأخذهم من الاستراحة إلى غرفة الاجتماعات، وردت إشارة بوصول الزوارق البحرية المسروقة إلى قاعدة حيفا البحرية وأصبح التقرير جاهز للعرض على المشاركين الذين توافدوا إلى القاعة ليروا زامير قد وقف أمام خريطة تفصيلية للبحر الاحمر وبحر العرب يتفحصها باهتمام، وبمجرد استقرارهم على الكراسى التفت إليهم بغتة، كما الثعبان حين ينقض باصقا سمه على فريسته، موجها عبارته إليها: لم يأتى دورك بعد فى الاستبعاد فاليوم آخر أيام العام ولا زلتى معنا؟، تدخل عاميت مقاطعا: هابى نيو ير زامير، أين ستقضى رأس السنة؟ كان كلاهما رغم كل شىء صديقان مقربان، فلم يستاء لمقاطعته بل لانت قساماته، عرف أنه يمتص التوتر: سأقضية فى

المكتب لدينا عمل كثير، أسهر أنت وتذكرنى إلى آخر لحظات العام، الآن يجب أن ننتهي، فى العام الماضى وتقريبا فى مثل هذه الأيام قمنا بالهجوم على مطار بيروت ودمرنا عدد ١٣ طائرة لدولة عربية إضافة إلى طائرتين إيرانيتين وهو ما يؤسف له أن حاجاتنا إلى لإيران فى القادم من الأيام تستلزم منا تعويضها عن تلك الغلطة الفظيعة بعد أن كنا نماطل فى المسئولية؟. ابتسم عاميت بينما اكفهر وجه ايتان فقد كان قائد الهجوم، نظر زامير إليه فى مودة: هون على نفسك رفائيل كل ما ستفعله أن ترافق وفد الاعتذار وتبدى استعداد القوات الخاصة لتنفيذ أية عمليات لصالح السافاك الإيرانى كترضية مناسبة، أما المال فلن نتكلم فية الآن..؟ كان الأدميرال مودخاى ليمون قد وصل متأخرا ومعة التقرير الذى سيقدم عن عملية (سرقة الزوارق الحربية) وانضم للاجتماع وهو يعلم بالضبط ما يريد أن يقوله رئيس الموساد.

❖ ❖ ❖

أبرقت الفدائية الفلسطينية (سلمى أبو عاصم) من عمان إلى القاهرة تطلب لقاءا عاجلا الذى وصلتها فعلا فى ٧ يناير ١٩٧٠ انتظرها الشاعر مدحت صبرى فى المطار وأقلها إلى منزلها بجوار جامعة القاهرة حيث لا زالت طالبة حقوق فى السنة الثالثة وتستعد لامتحانات نصف العام، فى الطرق أسمعها آخر قصائده التى سيشدوا بها عبد الحليم حافظ طالبا رأيها وودها، كانت منشغلة بمتاهات فى عقلها. تريد أن تنتهى من وضعها أمام المسئولين

لتتفرغ للمذاكرة، وصلت المنزل الأمن وبعد مكالمة قصيرة كانت فى طرقها لمبنى المخابرات فى المعادي، لحظات وكان هناك اجتماع عاجل، انتظرت سلمى بغرفة ملحقة بصالة التحرير بعد أن أتمت وضع المعلومات فى ١٢ ورقة من الحجم الكبير، ربما يحتاجونها فى أى وقت، عللت لنفسها وروضتها على الانتظار، ظلت الجلسة برأسة العميد حشاد حتى جاء الفريق أحمد إسماعيل مدير الجهاز، أمامهم وقت قصير للغاية، استعرضوا كامل التفاصيل التى من الضرورى أن توضع أمام الرئيس جمال عبد الناصر للتصرف، معلومات عن إنشاء خط أنابيب تبلاين من إيلات حتى عسقلان على البحر المتوسط، يريد العدو يا ريس أن يخلق شبه بديل لقناة السويس لحمل النفط من الخليج وبالذات إيران إلى أوروبا عبر باب المندب والبحر الأحمر ومن يدرى ربما يشترى وسطاء البترول العربى ويغير وجهته فى البحر ويذهب إلى إسرائيل، وعبر تلك الانابيب يصل للغرب، لمعت عينا جمال فقد بات من الواضح الغرض الاقتصادى من حرب ١٩٦٧ سلب مصر موقعها فى التجارة، ضرب التنمية حتى لو استردينا قناة السويس، الخطة جاهزة، لدينا رجال فى اليمن جاهزون لتهديد الملاحة من وإلى إسرائيل، بل إيقافها نهائيا فى حالة نشوب الجولة الرابعة من القتال، فتح الملف، نشرت الخرائط، أزاح ناصر مواعيد الليلة حتى ساعات الفجر الأولى من صباح اليوم التالي.

❖ ❖ ❖

غادرت سلفانا لندن متوجهة إلى امارة البحرين كمندوبة لشركة لويدز للتأمين البحرى العالمية، وصلت مقر الشركة فى المحرق لتأخذها موظفة إيرانية إلى محل إقامتها فى حى البسيتين ومن هنالك اطلت لاول مرة فى حياتها على مياة الخليج العربى الهادرة وفى دقة متناهية ركبت اجهزة الارسال وبثت رسالة تجريبية لمحطة فى إيران المجاورة تفحصت أوراقها الثبوتية وكمية الاموال الكبيرة التى فى حوزتها حتى ورود رسالة الرد من مسئول العملية (شلومو ميليت)

❖ ❖ ❖

على عتابات المستشفى أستقبلة فريق، خليط من المرضى والعاملين، لم يكن سالم ربيع مجهولا بين الناس فقد كانت صورتة مغلقة فى عدة أماكن وميادين، كان الرجل مديد القامة قوى البنيان لم يتجاوز الاربعين يخالط شعرهُ الأسود بياضهُ، صوته عذب حتى وهو يفيض حماسة، جلب له الهتاف والتصفيق، أشاع مرافقوه فى الأرجاء أسباب الزيارة، تعزية الأخوة المصريين فى فقيد العروبة والأمة، جمال عبد الناصر، شعب اليمن الجنوبى يشاطركم الأحزان وهكذا سارت الأمور ثم تمدد فى غرفة الكشف ينظر إلى الدكتور إسماعيل وفى عينى كل منهم تسائلات، بدا الرئيس حذرا: يقولون إننى اعتمدت على مصر للوصول للحكم، ولكن انظر كيف هم وأنا أتكلم عن ناصر، فى كل بيت يمنى هنالك مأتم؟، رد إسماعيل: هو

فقيد أمة كاملة بلا شك، هز رأسه مؤمنا: احتاج لتأكيد من أحمد إسماعيل شخصيا ان العملية مستمرة فلا أظن أن الجهاز سيتعرض لاى تغيير فى الفترة المقبلة، رد إسماعيل: فخامتك سيصل التأكيد الليلة فقد قطعنا شوطا طويلا فى الإعداد ولن نلغى عملية أقرها ناصر بنفسه لرد كيد العدو، استوى الرئيس جالسا: ستذهب غدا إلى المحافظة الخامسة هنالك عدة عيادات ومشفى سترزورها، خذ هذا التكليف منى بعمل تقارير عن حالها لا أظن إنه سيسرك فهذه المنطقة على حالها منذ أن تركها آدم عليه السلام من الحرمان وستجد هنالك طبيب أسنان غير متخرج قل له أن يصلك بأخيه واحترس فبالرغم من أنه يدير عصابة تهريب على الحدود إلا إنه مجنون تماما. لم يستطيع أن يخفى ابتسامة رقيقة طفرت فأظهرت سنتاه الذهبيتين وكأنه تذكر ماذا فعل قبل سنوات طويلة.

❖ ❖ ❖

فسق كمالى عن أمر سلطان القبيلة وادعى أنه فى غمرة الفرح بالاستقلال، أشعل النار فى بيت شيخ ثمود على حافة الربع الخالي، كانت الشركة البريطانية قد بنته وقت التنقيب عن النفط فى المنطقة، لكن أخى كان يعرف أنه رشوة لزعيم القبيلة فتحين الوقت المناسب، استحثه إسماعيل على إكمال ما بدأ: طرد من حمًا القبيلة وأصبح تحت رحمة الظروف والتقلبات وفاخر فى جلسة قات بما فعل فأصبح مهدر الدم حيث هيبة القبيلة أهم من الأيديولوجية

ورفاق السلاح تحكمهم الأعراف، ترك إسماعيل رساله شفاهية لكمالى بحاجته للطريق البرى عبر الصحراء لتهريب مواد طبية ولم ينسى أن يطلع طبيب الأسنان على رسالة سالم ربيع.

❖ ❖ ❖

قدمة طبيب بريطانى على أنه أحد أصحاب شركة ملاحية على خط الهند بريطانيا، بعد مضى فترة قصيرة من الليل أخطأ فى نطق اسم إسماعيل إلى شمعايل غطى عليه فى صدفة مناسبة هدير سيارة جيب عسكرية قادمة من جهة الشاطئ، ظن البريطانى أن الدكتور لم يسمعة حيث لم يظهر إنتباهة وهكذا مضت الليله دون ان يعكر صفوها شئ، كانت أم عاصم ستصل عدن على الخطوط العراقية فى الفجر وفضل إسماعيل أن يسهر بل وقبل أن يوصله صاحب الشركة الملاحية لاستقبال زوجتة وصرف إسماعيل مرافقة اليمنى كمالى بعد أن شدد عليه ألا يتأخر غدا فى الحضور إلى مقر عمله، كانت أم عاصم قد أحضرت معها حقائب من الفساتين بعضها فى أكياس جديدة عليها أسماء محلات بشارع الحمرا ببيروت، كان من الواضح أن زوجة إسماعيل تخطط لإقامة طويلة وكفت يد موظف الجمارك عن تفتيش باقى ملابسها الداخلية حين قال بعفوية : إيش لون محسبة نفسك زايرة مونت كارلو، خجل من نظراتها الباردة، أنهى الوضع بسرعة سامحا لها بدون تفتيش باقى الحقائب بالدخول، لاحظ إسماعيل وهم يدخلون الحقائب إلى

السيارة ماسورة رشاش تومجن، وتسائل فى قرارة نفسة : هل هذا إهمال أم إعلان؟؟.

❖ ❖ ❖

ريح عاتية قادمة، من المحتمل ان تنجح القوة فى التمركز بمكانها لكن إخفاء ما نريد فعله هو التحدى الحقيقي، قاطعها إسماعيل بإشارة من يديه، نحت الخرائط بسرعة من على الطاولة وسرعان ما حفلت السفرة بالاطباق فى توقيت ملائم تماما لوصول أقدام إلى باب الاستراحة، زيارة مفاجئة يا دكتور لكن صديقى تعرض لحادث فى طريق أبين ومن المحتمل ان نحتاج إلى عملية، كان إسماعيل يدرك أن وفاه بريطانى فى عدن وحتى ولو حادث سيارة سوف يقلب الدنيا، لم يتردد فى مصاحبته فى حين كانت أم عاصم تلاحقة بوضع قطع الدجاج فى ارغفة الخبز كما تفعل أى زوجة فاجأتهم الطوارئ لحظة الغداء، أصر السائق اليمنى كمالى على اصطحاب كليهما بحجة أنهم لن يستطيعا القيادة فى مثل هذه الظروف، تصرف لا يصدر من طائش أو مجنون، هكذا قال إسماعيل فى نفسة لكنه الآن مطمئن حتى بعد ورود التقارير من القاهرة عن شخصية رجل الملاحة البريطانى الذى إتضح أنة مائير هارتيسون، متخصص فى الاختطاف وسبق أن اختطف ٢٩ضابط وجنديا سوريا قرب بحيرة طبريا قبل الحرب فى ذات التوقيت كانت أم عاصم تجرى بعض الاتصالات فرغم إتقانها دورها كان ينبغى

التاكد من استمرار الغطاء حيث شارفت العملية على بدء التنفيذ، خرجت متخفية فى زى اليمنيات من الممر الخلفى بعد أن رتبت إقامة الخادمة فى مقامها وفى عجالة قدمت ورقة مالية لأحد الباعة بالسوق حيث اشترت (مجاضي) منه كان عليها أن تنتظر الرد فى مكان أخر الذى أتاها فى عبارة موجزة، تحرك بعدها لنش صغير ليحتل موقعة فى جزيرة (خوريامورياً) بالقرب من ساحل عمان، أخر فى مركب صيد أبحر من تربة فى إتجاة جزيرة ميون (بريم)، الثالث استعد للإبحار من طرف ميناء عدن نفسها فى بقعة يقال لها (رأس معيشق) إنها لا تبتعد كثيرا عن ظهر الفيل حيث انتظرت أم عاصم ورود الأخبار؟

❖ ❖ ❖

تسلل ثمانية على طريق ترابى يقودهم قصاص الاثر لمسافة خمسة كيلومترات غربى لحج فى اتجاة الحدود اليمنية الشمالية، كان لا بد من سرعة الاخلاء قبل ورود انباء الاعتراض، أتبع الدليل أسلوب التخمين لاكتشاف أماكن الالغام التى تنتشر على الحدود بين اليمنين ورغم ذلك كانت تقديراتة ناجحة بنسبة١٠٠٪، لاحظ الهدوء فلم يعبر الحدود وكمن فى انتظار إشارة فى الوقت الذى كانت إحدى الناقلات التى ترفع علم ليبريا تجتاز بحمولتها من النفط الايراني (٧٨ الف طن) خط جزر (خوريامريا) دون أن يعلق بها فخ الالغام، الأوامر ألا نتحرك، صبرهم بصوتة الحازم وأمرهم

باسترداد اللغم فالطريق مزدحم وليس شاغرا فى هذا الوقت، ابرق للمحطة التالية (الولد فقد أمه، يعوض الله) أبدى قبطان الناقلة كورال سى تنبئيه حذرة للضابط الأول ميليت : لا تهمل النظر والمراقبة لأى تحركات تصدر من البر العربي، شدد على إبلاغ الطاقم بذلك كان عددهم ٢٥ بحارا ثلاثة وعشرون منهم إسرائيليين أما الناقلة فتتبع شركة يام ومقرها عسقلان، يدرك خطورة أوضاعه، غير أن الضابط لم يتسرب إليه الخوف فالأوضاع ليست متوترة كما أنها رحلته الثالثة، تبادل بحارة زورق رأس معيشق النوم والسهر والصيد آملين أن يرصدوا الناقلة غير أنها تجاوزتهم بحساب الساعات وفروق التوقيت ولما كانت أم عاصم على مقربة منهم فقد أبحروا فى اتجاهها وعبر إشارة متفق عليها تحركت لتشغيل ساعة الصفر حيث تم رصد الناقلة فيما بعد تتجه إلى مدخل باب المندب، اقتربت الساعة من العاشرة صباح ١١ يونيو١٩٧١، من غير الممكن إفلاتها هذه المرة اتخذ الرائد البحرى قرارة بعد هذه العبارة فقد كان قلقا من قوة النيران التى فى حوزته ولذلك استغنى عن ممثل القوة الشعبية وأخذ مكانه عدة قذائف، سرعان ما ظهرت الناقلة، كان لديه ثوانى قبل أن يفطنوا لوجود ماسورة مدفع الباذوكا خرج من الأمواج مناورا من الجانب الأيسر ومقتربا بسرعة مخيفة كان الفدائى اليمنى على الشعيبى يقود بينما الرائد يصوب منتظرا اللحظة المناسبة، تنبه الضابط الأول

ميليت لاقتراب اللنش ولم يلحظ المدفع إلا أنه اتخذ قراره بإنزال إحدى الزوارق الحربية الفرنسية لمطاردة اللنش والتعامل معه بالإغراق، كان الزورق مواجها لمرمى الرائد شاهين فكان إن اختار ضربه قبل ملامسته الماء، هدف متحرك من أعلى وإلى أسفل وموج يرفع المدفع صعودا وهبوطا، قذفها، استمر بكل قوة ولسعات النار تلفح وجهيهما، سرعان ما اشتعلت الناقلة، الإصابة مباشرة ومركزة فى المنتصف وقد اخترقت الدروع، فرغت الطلقات وانثنى الشعيبى عائدا إلى الجزيرة، تم إخلاء الموقع بسرعة البرق، اجتاز إسماعيل ومن معه الحدود ورابطت ام عاصم تنتظر الرحلة إلى عمان، فى هذه الليلة أبرقت سلمي (أم عاصم) لزوجها فى القاهرة تطلب منة أخذ أجازة من عمله بهذه العبارات (وحياة أمك تاجى لعنا بلبنان ها الصيفية مو كتير عليا عاملة حسابك بشالية عالبحر الامضاء/ سلمي)

و كانت تل أبيب قد أخرت الاعلان ٢٤ ساعة لمعرفة ما حدث فاتاح ذلك للجبهة الشعبية أن تعلن عن مسئوليتها عن إغراق وإعطاب كورال سى - كوبريشن.

أبرقت سلفانا إلى مكتب لندن متأخرة يوم ١٤ يونيو (تهانينا تم إغلاق خط عدن إيلات الخسائر بالملاين والقتلى تسعة..... لم يكن هذا يومنا)

ليلى والمنصور

فتح ثغرة فى السور، قالت الأعرابية: القمة الطرف؛ فلقد طالت جلستى وأنا أراقبك، حدجها بنطرة ارتياب وعقد حاجبيه وأفلت زمام غضبه؛ انشأ يحادث نفسه بصوت عالي: مالى أنا وتربصك ومجلسك؛ وسع الجوبة يا منصور لتمر إلى مداها؟ إطاعة فى صمت، انتبذ مكانا قصيا عن مجلسها وصغارها المشدوهين المسكين بأطراف ملسها حيث نظر إلى الأفق وطرقات المعول تدق أسماعه وبين يديه كوب الشاي، على امتداد البصر بقعة داكنة انتشرت فى السماء لترسم صورة غريبة، تحركها الريح صوب الشمال، لاحقها فى خيال متأملا فى الوقت ذاتة دخان سيجارته، سرعان ما علا صوت منصور يناديه: لقد انتهيت؟ عاد وفى عدة دقائق كان قد فك تلافيف السلك الأبيض الذى غاص وابتلعته الماسورة البلاستيكية، وأنجز باقى مهام توصيل أطباق الاستقبال وسرعان ما غادر المنزل تاركا الصبية يجمعون الأدوات كان ينتوى الذهاب إلى الورشة مرة أخرى، قرر ألا يفعل فاليوم قد تنتهى عند هذا الحد، غاص فى حشود الناس المتوقفة فى تنتظار المترو، بعد المغيب سيحضر من أطراف المدينة الأصدقاء حيث مقر الاجتماع بالتكعيبة يريد أن يكون أول الحاضرين، سرت إشاعة بين مقدمى

الطلبات ان المباحث اكتشفت جثة فى العقار المجاور، نقلوها بين الزبائن وتفاعلت بين أحداث اليوم، الوضع ينذر بالسوء ولن ننتظر أن يصبح خطيرا، مواصلا الكتابة فى هدوء على الرصيف المقابل فى ركن منعزل، يتردد عليه من وقت لآخر أحد الصبية لتغير الأحجار ففى أفضل الظروف لم يكن ليحس به أحد، لفت انتباهه الحروف الثلاثة التى على اللوح المعدنية للسيارة المتوقفة بجانبه، بل التى فى الجراج أمامه، بل تلك المارة الآن، أحيانا تكون الأحرف بلا معني، لكن الثلاثة بمعنى قريب للغاية، هوي، دمر، سفك، كل تلك الحروف تصب حسبا فى قالب الجريمة، نعم مؤكد الجريمة التى اكتشفت هذا الصباح، لابد أن روح المتوفى حاضرة فى المكان الآن، وسط الناس هكذا، أية ناس أنت فى أقصى طرف الشارع إلى جوار خرابة أطلال قصر ما متهالك يوشك على الانهيار، وقد يتحول إلى أنقاض عند حدوث أى هزة خفيفة، النهار يوشك ان ينتهى بل عمليا انت مع موعد على العشاء، مرت سيارة عليها ثلاثة احرف، قتل، أية مصادفة هذة؟ إنتهز فرصة تغير احجار الشيشة وسال الصبى بعد أن منحه إكرامية حتى لا ينساه فى التغيرات: ما تعرفشى الجثة اللى لقوها، ماتت لوحدها ولا لأ؟. رد بلا تردد: مكسور رقبتها يا بيه جثة واحدة ست؟. يا ساتر مؤكد ست وليس رجل؟ نعم إنها سيدة أجنبية بيقولوا إنها مراسلة تلفزيونية من اللى عايشين معانا فى الميدان من أيام الثورة، (معانا وثورة) تمعن فى الصبى هذه المرة بقوة وأعطاه عمر الإعدادية ليس أكثر، بدافع الفضول مد

عنقه إلى سيارة تعبر على مهل، صدمته كلمة (خنق) كان لديه شك أما الآن..... يوشك أن يصدق تلك الخاطرة التى استحوذت عليه ولا سبيل لطردها من تفكيره، سوف يحضر الاصدقاء وسيكون حدث القتل محور الحديث الليلة، خط تصور مبدئى للجريمة، يمكن أن يكون كسر رقبتها السقوط، تزحلقت فى الحمام، وأعاقتها حافة السجادة، سيارة تحمل علامتها كلمة (خطأ)، إذن على علاقة بشخص وفتحت له الباب وقتلها، عند هذا الخيال توقف وانتظر وطال انتظاره عشر دقائق، ثم بدأ فى تسجيل الخاطر مضيفا إليه عدة محاور ألف بهذه الطريقة صفحة كاملة، هل يمضى أم ينتظر، سيارة تعبر على مهل من شارع جانبى وتتوجه ببطء وعلى لوحاتها عبارة (حصل)، انطلق فى رسم الشخصيات وهكذا جائت عبارات (جيد)، (غلط)، (حدث) و عبارات أدق فى صلب القضية، ووصل الأمر إلى تحديد اسم الفاعل، هاله كم الأحجار اللتى دخنها فقد تراصت مكونة سورا صغيرا ممتدا على الرصيف، كم مضى من الزمن، تشير الساعة إلى الثانية عشر، سأل وهو ينوى المغادرة: ألم يحضر أحد الأصدقاء؟. أشار له مكان منزوى فى الجهة المقابلة، تحقق من الوجوة فقد كان عددهم أكبر من المعتاد، معهم حريم ولذلك تركوك فى جلستك مع عفريت المرحومة بل ربما صرفتهم عنك، أو أن المعسل مغموس بهلوسة، تناهى لسمعه مع صفير الليل صوت رتيب لنحيب، كلب يمر يتبعه قط فى اتجاه كومة نفايات عربة الكبدة التى توقفت عند عربة تحمل لوحاتها عبارة (حسن)، كان قد

ابتعد عن مكان جلسته فى طريقه إلى المحطة عله يلحق بمواصلة، تعود أن يسدل الستار على اليوم الذى ينقضي، أخفى فرحة فى ابتسامة صغيرة طفرت على شفتيه وهو ينظر غلى كم الورق الذى ألفه وخطه وكتبه، صوب بعض الجمل واحكم النقاط والتشكيل ورغم أنه أغلق ملف القتيلة، ظل اسم حسن بنفس شكله على اللوحة يتراقص أمام عينيه خيل إليه أنه انتبه أيضا للرقم وربما خدعته ذاكرته وربما فعلا اللوحة هكذا ....(حـ س ن|١٣٧)

خسارة لن يستطيع أن يتأكد كان الطريق يقترب به من منزله فى ترعة المريوطية، يقال إن كثير من الجثث ألقى بها فيها، مكان مشهور على حافة الصحراء الأهرامية، تذكر الأعرابية ساكنة الطرف التى وصل لها الدش هذا الصباح، بدا شكلها غير مريح بالنسبة له، مخيفا أيضا فقد كان لباسها التقليدى يخفى وجهها وعيناها قاسية جامدة، لولا منصور ما ذهب إلى هناك فمكان دارها قرب المقابر فى طريق غير مطروق للبشر تمرح فية الدواب والضوارى ولصوص النور والغجر وأهل الخطر، زادت نقمته عليها حين علم، تريد عمل توصيلات كهرابئية أخرى وحجزت جزء من الأجرة والعدة، ذهب مرغما بعد أن أكد له زوجها إنها لن تتدخل فى عمله ولن تراقبه كا حدث فى السابق؟ مالك حانق وهى لم تفعل شيء سوى الفضول وثقل الظل والغباء؟، سؤال لم يعرف له إجابة، قلبى ينقبض من أعلى كلما أحس بالخطر، استغرق منصور فى الضحك حين سمع عبارته تلك وأردف: خائف منها لإشاعة الناس

إنها عرافة؟. هبط قلبه بسرعة بين قدميه وبان إنزعاجه وفى صوت خرج مترددا: دجالة؟، بنعمل شغل عند شياطين؟.. أنا راجع الورشة ومش عايز عدة ولا فلوس، أقنعه بأنها إشاعة وحتى لو كان، كيف تفوت فرصة لإشباع هوايتك فى الحواديت، العفاريت لا تظهر فى النهار، بخطى ثابتة اجتاز بوابة العمارة يعلم الآن أنها تمتلك وتتحكم بعدة بيوت، أشار منصور إلى مقبرة أنيقة ليست ببعيدة عن التميز؛ تلك مرقد عائلتها قد جددتها تريد بعض الكهرباء فيه، أعلن رفضه أمامها: لن أعمل فى القبور إذا أردت أى شىء آخر فى المنزل أنا مستعد.

كان يتكلم بشىء من الاحتراس هذه المرة، عيناها الجامدتان كانتا أكثر ألفة وصوتها نافذ إلى الوتر الحساس فى أعصابه، إنشغل بلا ضغط فى العمل، لاحظ بطرف خفى أن منصور يناديها باسمها مجردا، رفض الشراب أو طعام وحين انتهى ناولته الأجرة التى طلب وأعطت منصور إكرامية أكبر من أجرته، ثم قالت له : حسن هو القاتل والرقم تأكيد، اصفر لونه وتلعثم، قال فى نفسه إنها ترهبك وتمارس خدعة ما، فسرت لعثمته كما تشاء وقالت: تسأل كيف عرفت؟. إنه مكتوب فى أوراقك، تنبه إنه أحضر معه حقيبته الورقية بكامل أقاصيصها البدائية، فقد كان ينتوى الرحيل إلى وسط البلد بعد العمل مباشرة، اجتاحه غضب صاعد من عتمة الخوف واختار عبارات قاسية ولكن هادئة التعبير عن احتجاجه من تصرفها، أشارت إلى منصور قائلة: صديقك من أطلعنى على هذا

وإن كنت لا تعلم إنه ابن أخى وأخى فى الرضاعة فأنا لا أحب أن يعمل لى أحد بلا أجر. لانت قساماته وأصبح وديعا إلى الحد الذى تناول معه كوب العصير، نطق الحروف الأولى بتردد: ماذا تريدين يا مدام ليلى؟. أجلست منصور إلى جواره وفى مقابله جلست وحدقت من وراء نقابها: قلى يا حسن لماذا قتلتها، ما الذى دفعك لفعل ذلك بالله عليك؟. اصفر وجهه إلى حد مخيف وأصبح يحاكى الموتي، هرب اللعاب من لسانه واحتاج لأكثر من كوب العصير، نطق بهلع حقيقى : كيف عرفتي، من أنبئك إنى القاتل؟، البارحة فقط اكتشفوا جثتها، نعم قتلتها من قبل ذلك، سقط من حالق، علق فى شباك مرضي، كانت تحمل معها جرثومته وفى البدء كان الحذر يسبق الخدر ليس عندهم عيب أو حرام، إنه الغرام ذلك الشر المحموم بالهوى.يحرق الفؤاد، نعم كنت أعلم بأنها تعيش اللحظة بلا رابط، جسدها له احتياجاته، كانت ميتة بلا أمل وبلا علاج، مميا ء محنطة خرجت من القبر كمصاص دماء، أعلم سرها وأخذ احتياطاتى، لكن غيرى يمضى ناشرا نقصها فى من حولة. أسكتة منصور بكلمة: صعب إنك تبرر شيء صعب التبرير؟ أشارت إليه ليلى أن يصمت: أكمل يا حسن..، كيف فعلتها ولما لم تبدى مقاومة؟... طننتنى أحاول .. كانت لحظة وليدة وقتها تماما؟.. شعرت بها تحت ضغط يدى وقد امتلأ بعنقها، لم تقاوم أو تتبرم أو تصرخ، استسلمت، هكذا وجب أن تموت كل إمرؤ يقتل الشيء الذى أحب، لقد انهار... فكرة داعبت خيالي... فى أعماقها تريد

ذلك... مرض بلا علاج، بلا أمل تعيش من أجله، الالم كل يوم وساعة ودقيقة، لا تقوى على الانتحار...قدمت إليها خدمة مثل تلك الخدمات الجسدية التى اعتدت تقديمها، لكنى لا أريد أن أبقى هكذا يتسرب إلى الخوف والظنون.. القلق، نعم إنها هلوسة.. أنا لم أقتل، لا يمكن أن أفعلها، ماذا وضعت لى فى الشراب، صرخ وانفعل سيطر عليه منصور بصعوبة، ساعدته ليلى بإعطائه مهدئات، قالت وهو يسقط فى بئر الغيبوبة : انظر لقد وضح كل شىء إنه أنت من يسكن فى العقار ١٣٧، ساعده صوتها الحازم على سنة النوم وقد كان على شفا الجنون.

القارئ

لا أدرى بالضبط متى عرفت ذلك، محتمل قبل وقت طويل وبعيد جدا، ومحتمل ايضا اننى ما انتبهت قط قبل الآن، أقصد قبل الأشهر الأخيرة، إذ دخل على ذى النجوم التى ما كان ليرتديها قبل بشارتى له.

القصة بدأت حين دخل يريد صورا أربعة فى ستة بخلفية بيضاء، دار حوار عادي، وأنا أداعب وأقول إنه مهم وواضح من شكله انه مهم للغاية، متركزش فى الكاميرا. خلى نظراتك ناعمة، مش مركزة وحادة، الصورة فى جزء من الثانية، كمان واحدة أخرى أهه دى حلوه. انت بتشتغل فين بالضط، وبنظرة نصف مفتوحة قال: حاول أنت أن تخمن وبسرعة استنتجت إنه فى أمن الدولة وإنه فى التحقيق الخاص بقضية كانت محور أحداث الساعة، كان التخمين صحيحا، قرأت تعابيره المذهولة، وأنا أسرد عليه أشياء فى صلب عمله وشخصيته المهنية، لم يتصور انى لم أعرفه قط أو أسمع عنه، من أين أتيت بكل هذه التفاصيل، أوضحت: عندما دخلت على الاستديو لاحظت أنك تفحصت المكان بدقة، وبمنهج خاص، عرفت كيف ستقف ولماذا وأين سيكون الباب الداخلى حتى

إنك كنت حذرا غريزيا وأنت تعطينى ظهرك، وتعدل هندامك مخافة أن يختل الترتيب أو تتغضن الأطراف، وقتها أدركت أنك فى منصب حساس يهتم بتفاصيل الأشياء، حتى سلوك يديك وجسدك يدلان على.. وعلى.. كان يتابع وقد بذل مجهودات فى إخفاء الدهشة، لم يكن منزعجا فالكلام معى له متعه خاصة أدركها فى شخصيتى منذ بعيد. أكملت دائرة الاستنتاج حتى ضحك، واعتبر الموضوع من أعاجيب الناس فى هذا الزمن، ثم. أصبح يقضى أوقات فراغة القليلة عندي، يتابعنى عن قرب، يخطر له أن يتساءل عمن يراهم من زبائني، ولماذا استنتجت من تصرفاتهم هذا وكذا، كنت اللغز الذى ينشط عقله فى حله بلا ضغط العمل أو الاستعجال، حتى كان اليوم الذى فاجأنى فيه!!

أتعرف الرجل الذى صورته منذ يومين، تقصد الفارع ذو الرأس الأصلع، بل أقصد من قلت عنه: أن عين الكاميرا أرتك أنه مقدم على جريمة، هذه كلماتك بالتحديد تذكرت: نعم. نعم ماله، استخدم يديه فى التعبير وكأنه يستعجب، لقد أقدم على قتل زوجته البارحة. صعقت: إلى هذا الحد كنت مصيبا، رد: ليست المرة الأولى يا أبو كريم فقد تحققت من عشرات الحالات حتى الجارة التى فى عمارة سعد والتى قلت عنها أنها توشك على أن تطرد من منزلها، طلقت وطردت فى منتصف الليل، وبجلبة كبيرة امام الجيران ويقينى أن السبب منها رغم ادعائها غير ذلك قلت: ومن أين اتاك هذا التأكيد سكت ثم أفصح: تأكدت وتحريت لأنها قصدتنى تستعدينى على من

كان زوجها، عندها قفز لذهنى انك رأيتها هى ولم تر زوجها وكان استنتاجك عنها لشيء فعلته تخفيه ويظهر لك فى حركتها ووجهها وسلوكها، ما كنت كرجل لتقبل ذلك وقد كان، أليس من المحتمل ان تكون مخطئا قلتها وأنا موقن أنه ليس كذلك، أعرف مدى دقته فيما يعمل، ويقول، ضحك: وماذا عنى أنا من شهر قلت لي: إنك على وشك الترقية وكنت أعلم ذلك، لم أعلنه لأحد ابدا حتى زوجتى أو زملائي، كانت معرفتى تختفى فى نفسى ومع ذلك عرفتها وتصادف ان أعلنت الحركة بعدها بأيام فى نطاق اصحاب الشأن ولم تنشر ولم أقل أيضا لأحد ورغم ذلك احتفيت بى يومها قلت إنها تهنئة منك لى بالترقية، وبسرعة تذكرت أنه أنكر تماما وكنت على يقين إنه يكذب لسبب ما، أيعقل هذا. ماذا تريد أن تقول لى سيادة العميد: إنى صاحب خطوة. هز رأسه: إطلاقا صاحب الخطوة لا يدانيك فى شيء لإنه لا يمكن أن يكون يقظ العقل هكذا، دعنى أعرف عنك كيف تصل لتلك النتائج، قل أنت ما تريد عن زائرنا القادم وأترك لى مهمة التأكيد على ما أدعيه، انخرطنا فى لعبة ما وراء الأسرار، عرفت الآن أننى أمتلك موهبة قراءة الأفكار، الأوجه، الأعين، حركات الجسد بمساعدة الكاميرا وعينها. تحليل الصورة والنظرة. تعطى انطباعات ما للعين اللماحة تفسرها إشارات المخ فأقول وانطق عفو الخاطر بما أعرفه ليس جد يقين إن هو إلا انطباع ولشدة ما أدهشنى مع طول التجربة، إنه صدق وبنسبة تسعين بالمائة، الخطأ يكمن فى تفسير بعض الكلمات ذات المعانى المتعددة، ويحكم الخطأ

البشرى أسهو عن تفصيلة أو أكثر، تطورت الأمور لدي، أحمل تصريحا بزيارة صديقى العميد فى أوقات كثيرة، اصطحب كاميراتى لألتقط له وهو يحقق ويتقابل مع زائرية لقطات فريدة حقا، يدعى أنها تذكارية لعمله وربما لكتابة مذكراته فيما بعد أنا أعرف السر، إنه تحليل الحركات والعيون وطريقه رد السؤال مثل ما تتبناه الأجهزة الاستخباراتية من تحليل للكلام والأفكار، لا أدرى لماذا لا يوجد كثيرون قادرون مثلى على ذلك، رغم أن منطقة الشعور تأخذ طريقها نحو الوجه مباشرة أقصد أن كثيراً من الانفعالات تحدث، زيادة إفراز العرق، التلعثم، اصفرار الوجه حين نواجه بما نخاف أو ما صنعناه من أخطاء، كنت وصديقى عميد أمن الدولة نعرف كيف نستفيد من هذه الهبة الألهية، أقصد هو يستفيد، أنا اخذ فقط حساب ما التقط من صور، حوارات وتحليلات تمتد بنا حتى طلوع الفجر، تساؤلات الضباط أحياناً: لما انتظر العميد كل هذا الوقت فى المكتب المجاور، قالها ذات مرة لواء وقد أخذ العميد إلى جانب: سأرفع مذكرة لمدير الأمن بتسمية المكتب هذا باسم قريبك المصور محمد إسماعيل. انت تقول أمامه أشياء خطيرة. اصرفه بمجرد انتهاء عمله ولم تشفع حجج العميد فى إبقائى وكإنقاذ لماء الوجه استجاب لأخذ صورة جماعية لفريق التحقيق وهو يباشر عمله فى تلك القصة، أنا لا أحلم ولا أتكلم لا يمكن أن يعرف غيرى سر ما نعمل، حتى لو بعد ألف ألف تجربة، ما نفعله يا عزيزى سر، وخطير أيضا، أنت تضيء عود ثقاب فى قلب متاهة

مظلمة الأركان، يتدخل فى التحليل آلاف آلاف الشفرات التى تعجز ويعجز عنها العلماء، من يملك قدره قراءه أفكار الآخر، قوة فى حكم الأعجوبة، أو تدرى إن أنت أذعت السر ما يحدث لك، كان سؤالا خارقا للتابوت المدفون فى أعماقنا. افاد صديقى كانت عبارات التكريم والاحتفاء به تتناثر فى كل مكان. عمله يجعله يقوم على فتح صندوق اللغز ومعرفة الأسرار المخبوءة فى باطن مجرم، فاسد، سفاح. تلك الشهرة فى حل قضايا صعبة أفادت فى جعل وجودى معه فى المكتب من وقت لآخر مسموحًا به، هو أيضًا حاز لقب كولومبو مصر وأصبح هدف الصحف لكن أنا. أنا موهوب اللعبه ماذا سأجني، علاقات، تسهيلات، لا يجرؤ مخلوق على الإضرار بك، كل المرموقين صاروا من زوار الاستديو، حتى أفراح الضباط الشبان صرت مصورها الأساسي، هذا تعويض عن أسرار العمل معى وأمان لك وتبرير اقترابك منا، أو تدرى كم الأجرام القابع فى حنايا وزوايا مدائننا ولا تصل إليه يد ويقع البعض مصادفة بين جفون الكاميرا وملاحظة البسطاء من الناس، ريبة مار أو سائق أو بواب، الناس تعرف ان تلك جريمة لكن الأغلب لايخبر أحداً. يشبعنى انى افعل ما يعجز عنه الغير ثرثرتى جعلت من جزء السر العقلانى ينفضح أمام الأشرار، صورته أكثر فى جلسات التحقيق، باغتنى بسؤال: إلى أى صحيفة تعمل، أجبته فى ثقة: أنا التقط الصور لمساعدة الباشا، أحسست أنى فتقت السر أطل على بعينين فيهما دهاء وغدر الذئب، لديه شركاء فى تنظيم إجرام عالمى داهنت

على ألا يصل لشيء، ألا يعرف دورى فى اللعبة، نسيت مع الأيام خطورته بعد أن أعطته النيابة استمرار حبس، حتى دخل على ذلك الشاب، عيناه ساهمة ساكنة مثل أعين الأسماك الميتة، تذكرت فى الحال أسماك القرش، طلبا صوراً عديدة وأن أتفرغ له ادعى إنه موديل، الصور تلزمه جداً لمخرجى الإعلانات. يكذب. يكذب، كان يحمل حقيبة صغيرة، بها أكثر من طاقم ملابس للتصوير، انتهزت الفرصة قلت: إذن هم بتبديل ملابسك فى الداخل بينما أغلق المحل بلافة مغلق للصلاة حتى لا يقاطع عملنا أحد، كانت ثوانى فارقة بين الموت والحياة، أسرعت أغلقت عليه الباب الزجاجى من الخارج، عدوت بأقصى سرعة نحو سيارتي، لأنطلق فى زحام القاهرة واختفى نهائياً، فلن يستطيع أحد حمايتي، أعرفهما تلك الوجوه الخطيرة هى محور عالمى الآن، أصبحت على قائمتها.

أصبحت بلا عنوان.

الثالثة بعد الزوال

تسبقها نبوءتها ظهرت بعد تتابع خفوت الأضواء، حفر الضوء الأبيض الساقط بزاوية مائلة تضاريس الساحة وعنقود الأعناب المتدلية من أعلى قمة حتى السطح، سطح الأرض، أزاحت بيديها كراديس الصفوف الواقفة ناظرة لوقع خطواتها القادمة من خلف الأستار، كان المشهد لوحة رسام أجاد الألوان ورسم خطوات التبديل بين الأضواء، عقب بكائها الحى أمام الجمهور قفزت من عمد مصبوبة وترامى شعرها وكأنه سيل قالت فى شبه الغيبوبه: الخبر لأذنى مسموع ومن يأتى إلى لا يندم، مع قرب مولد نجم سهيل رفعت أستارا عن قبه سماوية تتحرك فيها أضواء النجوم بحرية، كانت تتكهن فى صمت وتدور وكأنها قد اندمجت حقا فى الدور، هذا المشهد كلفنا الكثير جدا حتى يعرض بهذا الشكل، تعاركنا بسببه أكثر اوقات البروفات، وتحفزت للأخطاء، للهفوات، كانت تعرف أنها نزعت منى نصف الإعجاب وها هى فى ليلة الافتتاح تنتزع الباقى مع تصفيق حضور ضخم، تطمس بدايات الحكايات فى ذاكرتى دوما على أن بدايتها كانت أسطورة، حفرت إخدودا ناتئا فى الأفكار عقب الجولة الأولي، معلوماتى إنك اشتركت فى أكثر من عرض درامى وعرض عليك مسلسل

ورفضتيه، أليست هذه رعونة منك وأنت نصف مشهورة.. تخطت الفاصل بيننا بتحفز: لى شروط فى العمل الذى أوافق على تمثيله أنا لا أخرج مع المخرج أو المنتج أو النجم، لا أسهر بعد العرض لا أشرب إلا الشاي، طاب لى التحدى وقتها: بعضهن يقلن ذلك ويفعلن العكس الأمر بيدك لو التزمت، أوافق، التحدى يقتل الملل والتجربة تثبت أو تنفى حتما بعض الأشياء، جلست تتكئ على معصم تشوه بدماء وقروح وكأن جليدا غطاها جمدت تمثالا بغير الروح، جازت بيديها فضاء السور وتسلق عفريت المشهد، حز رقبتها بالسيف فى نصف مسافة بين اللحظة والرؤية البصرية للجمهور، اظلام، موسيقى نهاية اول فصل، همسات الصالة، عرض مبهر، عرافة أو كاهنة المعبد انتزعت منا تصفيقا حادا، فرق كبير بينها وبين الباقين، ما اسمها أو تعرفها، اسأل ذلك الواقف فى الظلال، أو احدا من الأوركسترا لابد لنا من معرفة الاسم، وفى الحال، تداول الصف الأول والثانى اسم بطلة عرض اليوم، لام ياء، لام وياء، مجموعة أو متفرقة لا فرق عندى كان المشهد حين فتح ستار الفصل الثانى فى غير أوضاع المتوقع، أصرت أن تفعل نفس الحركات التى شطبتها فى البروفات ممثلة سيئة تلك التى تتحدى دكتاتورية المخرج، لو مر العرض بسلام، سأكتفى باللوم والتقريع رغم أن زميلها فى المشهد يبدو عليه إنه يريد أن يخنقها ويلقى بجثتها للجمهور غنت فى ايقاع حلو: المرء لا يوقف قدره وإن قلد سيفا ودروعا إن جد الشر لا تغني.. أسوار قلاع صروح.. تلك الأسطورة

عربية.. قبلنا بالأجر المدفوع.. تابعت النظر فى الأوجه، يمينا ويسارا وحتى للخلف، وقع الكلمات على الصف، انتزعت بعض التصفيق والبعض عبر بالآهات وبالصوت اجتازت مشهد الذروة بنجاح، سرحت كم ليلة عرض تلزمنا حتى نلملم تكاليف الإنتاج، اليوم معركة فاصلة، لابد أن تواتينا الأجواء، انزلقت فتاة استعراض فى المشهد، بدأت أتابع مشهدا جديدا لم يكن فى المسرحية، ها هى لمياء تقيمها وتدخل معها فى حوار بعيدا عن النص، ماذا تحاول هذه المخبولة، خداع الجمهور وايهامه انها ليست سقطة.. أو تنجح فى ذلك، تلك المغامرة قد تفشل العرض كله مرت لحظات عصيبة اتقلب على الكرسى فى أوضاع غريبة، أنا أعلم إنه ليس خيارها، كان يكفيها أن تشيعها بحركة كوميدية أو كلمة وينتهى الوضع، مرت الأحداث وعدنا للسياق الطبيعي، أنا لا يعنينى الآن أن أحس الجمهور أولا.. الواضح إنها تسيطر على كل شيء.. هذا خطأى أنا حين قررت متابعة العرض من الصالة وليس من الكواليس.. ماذا كنت سأصنع وقد دعوت أناسا ذوى شأن، كان ينبغى أن أتصرف بقاعدة المكوك، قليلا هنا وقليلا هناك، نعم مازال على النهاية فصل كامل، أستطيع أن أصعد لهم بين الأشواط، الستارة تنزلق، استعد للمغادرة، يوقفنى تصفيق حاد من الحضور، العمل يعجبهم حقا، هل أذهب، أخاف إن ذهبت وتدخلت أن أخرجهم من الحالة الفنية التى تصعد بهم إلى النجاح، لا سأبقي.

تجانب الضيوف حولى الكلام.. أحدهم مال على وهو يقول: ما رأيك أن نصور العرض التالي، وجمت للحظات، سارع بتقديم بطاقته التى تعرفه بأنه منتج سينمائي، وما علاقه هذا بالسينما، لم تفهمنى كاميرات تصوير ديجيتال، إضاءة سينمائية مخرج تصوير متميز ثم اسطوانة مسجل عليها المسرحية ثم.. أكملت: عرض على القنوات، مضبوط، حسنا شرفنا بعد العرض لمناقشة التفاصيل المالية، لم أخف سرورى بالمحادثة وأذعتها بين المحيطين حيث سرت همهمات تشجيع لكلينا بدأت الجولة الثالثة بقوة وقفت لمياء تقاتل لدقيقتين فى مشهد أسطوري، زرقاء اليمامة تدفع ثمن المعرفة.. لاترضى أن يأخذوها حيه.. أريكم ما لا ترون وأعرف منذ بداية عهدى إنى أموت، المرة تلو المرة بين جريد الصحاري، وأقطع شوطا طويل الدلاء أكون شتاتا وأعصى الفناء، صرخاً تنادى فيها الحياة، ضمنا تجيبك حم القضاء وجاءت المشاهد متتابعة وبدأت أعصابى تتوتر، مشهد النهاية صعب وبدأت أنغام الخلفية والصوت القادم من بطن التاريخ يطن، حملاً ثقيلاً يوشك إن يوضع على الأعناق، انفعل الناس وجززت على الشفة السفلية، تأبى القطع، شد اليد بقوة وانفصلت يد الزرقاء ودارت لمياء وكأنها مصروعه حقاً دورات فرقت الدم على الإنحاء.. آه يازرقاء الموت يحاصرك مهما فعلت، أجهزوا عليها وسمعت الأهات من وسط الصالة ومن الأنحاء، أجادت تمثيل الموت والطعنات، حملوها مقطعة الأجزاء، كدت أقوم لأراها فالمشهد فى قمة حتف، اصبر فالوقت شارف على الانتهاء،

ستراها وهى تحيى الجمهور، وقد كان، أصر الناس أن أصعد مع أبطال العرض، مدت يدها تساعدنى على بلوغ الخشبة، كانت هناك أثار جروح عولجت على عجل على ذراعها، أصيبت حقاً وهى تؤدى والدم تفرق بين الجد والزيف، بحرص ورقة أمسكت اليد المجروحة وقدتها نحو الجمهور، كان يغمرها شعور ما بالأشجان وباللوعة وكانت تبكى فى حرقة، مشهدها الأول فيه بكاء، الفارق أن الأخير بكاء الفرحة بحرص شديد وضعت كفيها بين يدى وقبلتها قبلة.

عاشقةُ الليل

مهداه لروح الشاعرة العراقية / نازك الملائكة

اختلفت كثيراً جداً عن صورتها الأصلية المنطبعة على أغلفة الكتب والذاكرة ، كانت تعرف أننى أطل من النافذة الزجاجية التى تفصل غرفة العناية المركزة عن الممرات خارج الغرف فرغم قناع التنفس الذى ألصقوه على وجهها، التفتت مرتين إلى حيث كنت أقف، أترقب الدكتور والمساعد وهم يقومون بالعناية بها، كانت هيئتى الرسمية كضابط وكاب الشرطة على رأسى، لا يدعان مجالاً للشك فى أننى أقوم بواجب رسمى تجاه شخصية شهيرة مثلها على الأقل مشهورة بالنسبة لى، فلا أحد تقريباً فى مصر يعرفها وهكذا الشعراء فى عالمنا اليوم لا يعرفهم تقريباً أحد، ابتسمت وأنا أتذكر قائد حرس مستشفى الشرطة وهو يقول لى مزمجراً: أرجو ألا تعتبرنى جاهلاً من هى نازك الملائكه حتى يعين لها حراسة خاصة طوال وجودها هنا.. أخبرته ، إلا إنه ظل غير مقتنع، إنه لا يعرفها ولم يسمع بها إنه لم يرها قط قبل اليوم كانت مريضة فى العراق... بلدها محتل ينزف والتفجيرات فى الشوارع والأسواق، الأدوية نِفذت والأطفال تموت والنساء، وهى تقاوم، روحها وقدرها أن تأتى هنا ظلت فى ذاكرتى عمراً بأكمله، أعرفها، نعم منذ

الإعدادية منذ كانوا يسمونها فى الرياض حيث درست سنين من عمرى، عاشقة الليل التصق بها الاسم منذ الديوان الأول، حتى الآن أتذكرها، ما قالت وما روت أتذكر أبيات رددتها خلف مقاعد الدراسة هناك وحين التحقت بالشرطة وحين عينت بالصعيد فى مهام ليلية دامسة الظلام: هى ياليل، فتاة شهد الوادى سرُاها، أقبل الليل عليها فأفاقت مقلتاها، ومضت تستقبل الوادى بألحان أساها، ليت آفاقك تدرى ما تُغنى شفتاها.. آه ياليل وياليتك تدرى ما مُناها، حين انتهى الطبيب وغادر الغرفة التف حوله العديد من مثقفى بلدها، مثلها جاؤا إلى القاهرة، خلف زجاج النافذة الفظه خلف الباب، بارده تزحف ساحبه ضجرى المرتاب، إنها النهاية، نهاية السلم انكسرت العيون ورغم ثقل اللهجة العراقيه على أذنى، أدركت إنه لا فائده، فى اى وقت من الأن :مرت أيام لم نلتقى، انت هناك وراء مدى الأحلام، فى افق حف به المجهول، وأنا أمشى وأرى، وأنام، أستنفذ أيامى وأجر غدى المعسول، فيفر إلى الماضى المفقود، أيامى تأكلها الآهات متى ستعود..، تنقلت بين الغرف والمرضى والزائرين، جاء كثيرين ممن سمحت لهم وظائفهم المرموقه بالحضور، لم يلتقوا بها نظروا إليها من خلف الزجاج، وقفت معهم، فى كل مره أرى العيون ترصد لحظات الحياه الباقيه فى جسدها الرقيق الهش كنتف الثلج أصوات النهاية تفصح عن كلمات: يا مصر شعورى مزقه ما فعل الموت، الصدر يعلو ويهبط، والأنفاس تتقطع، حياة حافلة.. جلست حتى انهارت الأحلام العربيه

فى البعث من جديد، أحضرت أكثر من ديوان لها، حتى يمكن لرئيسى أن يتعرف عليها، لم يكن شغوفاً مثلى بقراءة الشعر، إلا إننى لمحت فى هزات رأسه.. رضاً بما فعلت... ترك الدواوين بين يدى وقت الخدمة الليلية وهو يقول ربما أحببت أن تستعيد الأيام الماضية، أطمئن على أن كل شىء تمام .. وانصرف، بين الطرقات، جلست على حواف عالمنا وعالمها المجهول قرأت قصائدها، كترانيم وأناشيد طقوس، ابنه بابل فى رحاب معبدنا، تمشى ببطء وسط بهو الأساطين، جاءت مرات أمس ومرات من قبل ومرت من هذا الباب فتحتهُ أطلت عليَّ وأنا غارق فى قصائدها الشعرية: أن أكن عاشقة الليل فكأسى مشرق بالضوء والحب الوريق، وجمالُ الليل قد طهر نفسى بالدجى والهمس والصمت العميق، أبداً يملأ أوهامى وحسى بمعانى الروح والشعر الرقيق، فدعوا لى ليل أحلامى ويأسى ولكم انتم تباشير الشروق قالت لى المرضة بعد أن خرجت من غرفتها كما لو أنها أرادت أن تبادئنى الحديث : - أبدلت المحاليل واطمئنيت على كل شئ.. انتظرت حتى ترى فى عينى ردى ولما لم يحدث قالت ـ: اتقرأ لها مثلى.. تنبهت إنها تحادثنى وعلى عادة رجال الشرطة تفحصتها من أخمص قدميها.. ثم قلت ـ: نعم ألكى فى الشعر أنت أيضاً ـ: بل أحفظ لها ولغيرها.. ولم تشأ أن تضيع الفرصة فأخذت تقول هامسه جزء من قصيدة غسلا للعار: "يا جارات الحارة، يا فتيات القرية الخُبز سنعجنه بدموع مآقينا، سنقص جدائلنا وسنسلخ أيدينا، لتظل ثيابهم بيض اللون نقية، لا

بسمة، لا فرحة، لا لفتة فالمديه ترقبنا فى قبضة والدنا وأخينا وغداً من يدرى أى قفار ستوارينا غسلاً للعار."... دون أن أشعر مددت لها يدى حتى أجلستها إلى جوارى، ولم تزل تنشد حتى مرت ساعة، عندها تنبهت إلى أننى يجب أن أقوم بجولة فى المستشفى على من هم تحت أمرتى، قمنا ومضى كل منا فى طريق يخالف الآخر، قالوا أنها أفاقت.. وتعرفت على من وما حولها.. وقالت كلمات، أشياءٌ لذويها ومن حضر من الأطباء.. لم يكن هناك الكثيرين حولها ممن عرفه شبابها وصباها، فلقد عمرت إلى ما بعد الثمانين.. قالت لى المرضة إنها بدت سعيدة باسمة.. تقرأ فى وجوه الآخرين شىء ما.. لم تتغنى به أبداً فى أشعارها.. وحين رحلت وخلت الغرفة استعدنا فى ختام حديثنا عنها أبيات قولها "فوداعاً من قلب عاشقة الليل وداعاً وأنت يا موت هيا، هكذا تذبل الحياة ويخبو لحن أحزانها على شفتيا" .. أغلقنا الباب ومضينا سوياً نتبادل الذكريات، رماد وشظايا الأمس .

ولم يقاطعنى أحد

كنت هناك، مع الداخلين أردد، طوعا ما ينشدون، أحمل بين ضلوعى الثبات، أهتف، اصرخ بما يصم ويصفع، الأصوات تعلو حينا ثم تخبو، لم أتعود طيلة الايام الماضية على الحشود رغم الأكل والإقامة لأيام وسط دوائر الكتل البشرية، فى البداية كان الأمر لا يعدو أسماع الناس والحكومة لمطالب الشعب أقصد عن نفسى مطالبى أنا ووقتها كنت متأكدا إنها مطالبي، فرصة للعمل الأمن، تعيين، حكومات وراء أخرى لم تعين أحدا منذ أكثر من خمسة عشر عاما، كلنا بعقود آجلة تفسخ بانتهاء المدة التى لا تتجاوز العام لأكتب بعدها عقدا جديدا فى المدرسة التى أعمل بها، أدور على الإدارات المختلفة لتجديد انتمائى كمدرس، مدير المدرسة، الإدارات التعليمية، صعب أن أبدأ من جديد كل مرة، تصطدم بالروتين بالوجوه المكفهرة ذاتها، القلق أن يحدث شيء يضيع العقد، إنكم تحتاجوننا بشدة لم إذن كل هذه العقود، لم كل هذه التعقيدات والسدود حتى ذلك الراتب الضئيل الذى لا يسد المواصلات تعطوننا إياه بوضاعة، كل تلك الألاعيب. كادر المعلمين امتحان، عقد مدرس متميز. فى ماذا أليس الحصول على شهادة جامعية بالقدر الكافي، ألا يكفى خبرات السنين المتصلة المتولية. لا. حيث تنقطع

المدة بالعقد المحدد، أُمال احنا بنخليكم تعملوا عقد كل سنة ليه، حتى لا تحتسب الخبرة الكافية للتعيين تحايل على القوانين، لماذا إذن خرج آباؤنا فى ثورة اتنين وخمسين هكذا إذن، أخرج وسط الحشود، أطالبكم بالحل. أطالبكم باستجابة تحسين سبل الاعاشة، إزالة الحواجز والإعاقة، نعم أنتم من تسبب فى الوعكة، نحن نطالب بإسقاطكم وستسقطون وأظل أحلم أن تعاقبوا، أن يعاقبكم أحد ما، فى ظلام السجون تنتظرون. أفيق على أصوات فتيات يصرخن بحناجر مشروخة (الشعب يريد إسقاط النظام) أتجاوب مع الصيحات، تشتعل الأجواء تتردد صيحات متشابهة المضمون، طاقات قررت الهتاف هذا هو العمل المفيد الآن، لنا مطالب، يصعد فوق الأكتاف، يقول كلاما لم أتبين حقا ما مقدار وضوحه عن وزراء ومسئولين اسماء كانت تنطق فى الماضى بالتبجيل. أما الآن فهم الأشرار بلا أقدار. بل أقذار، يؤيده ثالث وخامس ويطالب بتوجه الحشود للوقوف أمام مجلس الشعب، بسرعة تناقلت الأفواه المضغة وسال لعاب الريق وطار الرأى حتى أمسك بتلابيب أطراف الميدان، تتزايد كتل الالتحامات من يقبع خلف جدران المجلس الآن، صاح ثائر من بين كتل اللحم الآدمي: يوجد بعض النواب، والداخلية لديها مركز قيادة كامل بالداخل، يؤيده آخر، من يملك صد الزحف، يتدافعون حتى يخترقوا الحاجز، تتكسر أمواج الصف، يتضعضع أمام كراديس الأمن الرابض على فوهة مدخل الشارع، الصد يخلف فجوة بين الأمن وبين الناس، يتطوع ويلقى

بنفسه وحده وسط كتل الأمن المركزى ذوى الملابس السوداء والدروع والخوذات الواقية وعصى الشوم العملاقة، ألا تبا لشجاعته تلك وهو أعزل يقفز ليناطح غولا فى حجم المارد، يصدونه بقسوة، بلطمة درع شفاف تلوث للتو بلطخة دمه، يتلقى وهو طريح الأرض خبطات عدة على الرأس والصدر وتكسر ساقه يخرج دم حار متدفق من ثغرات بين اللحم، كنت الأقرب إليه ونافورة الدم تنبثق من ثنايا ساقه المصابة وحوش تتصارع للاجهاز عليه، أتلقى الضربات وأنا انتشله من بين الأنياب أزحف به بعيدا عدة خطوات ويغطى انسحابنا فتيات شدت إحداهن فخذه بعصابة وطرحة رأسها حتى توقف نزيفه، بينما انساح شعرها من خلف البندانة وتلوثت أطرافه، اخترق الناس، يتصارع أنداد عدة قد فتح الدم سبيلا لهم فى دشم الصخر، ماذا أفعل أسحبه للخلف، يصرخ بهتافات الألم المبرح من كثرة الأيدى التى تتلقفه، أصيح عبثا فى الجموع: أوقفوا عبثكم به النزيف لم يتوقف بعد الاصوات تضيع فى هرج الموقف وهتافات اللعنات وشتائم الغاضبين والتصادم المميت، ماذا نفعل. ملقى على الارض وسط دائرة من أشخاص لم أعرفهم بعد، قد تدهسه الأقدام الثائرة، والحل. نرفعه عاليا، معنا مصاب، فلنتوجه به إلى مكان آمن صدعوا للأمر، نخترق صفوف الناس، إلى الشط، وجهتنا إحد إطراف الميدان، نتقدم بالكاد وبالدفع وبالعودة قسرا إحيانا للخلف، ينضم إلينا مشيعون جدد، يرفعونه معنا لأعلى ويتناوبون تداوله، إحدهم تطوع للسير فى

المقدمة يفسح الطريق كى ما نمر، أمواج البحر تتلاطم وأنا أسحبهم ضد التيار، جاء أوان الثورة، تقليد يصحب عطش الإنسان، جاء أوان المد غضبة مجروح، سورت مذبوح جاءت ثورة، ومن يملك شعبا يملك طوفان ارض تتطهر شعب يتحضر بالعصيان. لاتقف هكذا دعنا نمضي. إنه مصاب لم يمت بعد. إذن الأسهل أن تأتوا معنا، مجلس الشعب على بعد خطوات وسنقتحم الأسوار والأبواب الغلقا، نريد أن نرى نواب التزوير غضب الشعب عليهم، إنه مصاب بشدة، هاتوه معنا واتركوه بدمه الذى يغطيه فهو هكذا يثير الجماهير أكثر، كنت أحمله وظهرى لتلك الجموع الثائرة، لم أعرف من قال ذلك، من ذلك الذى يريد أن يثور ويمتطى جثمان ثائر مصاب، بعنف هزنى الموقف، من قال هذه الوضاعة. صحت بكل الغضب، بكل قلة الأدب، كان بعض من يحملونه معى قد أرخوا قبضاتهم الممسكة به وكأنما راقتهم الفكرة الدموية، كيف تفكرون فى ذلك، صدمتهم الشخرة الطويلة المدوية فى تلك الأوجة الحانقة، قلت بعدها بغلظة: إنه ثائر مصاب وحالته خطيرة، تراصت صفوفهم أمامى بعناد، بلا ثغرة منفذة واحدة، وأتانى صوت جاف من الصفوف الخلفية: يا أستاذ الأمن هو اللى عمل كده فيه سيب الناس تشوفه بحالته دي، الشعب يريد أن يشهد على طغيان الأمن، صاح آخر بغوغائية: أيوه حيشهد معانا اقتحام مجلس الشعب وبعدين نوديه يتعالج، كانت الأمور قد بدأت تتضح فى ذهنى بغتة، المصاب أدركته إغماءة ألم لا يملك معها من مصيره شيئا، مجرد

جسد ينزف محمولا على الأعناق وبين يدى الآن نجاته أو وفاته، أما الجماعة الثورية التى أمامي. سيطرت عليها نزعات وحشية محمومة أثارها الدم والعنف حتى باتت بعيدة عن كل عقل ومنطق ولن يضيرها أن تدهس من يعترض سبيلها أو قد تظن بى إنى لست منهم، القلة التى معى لن تصمد لو فرضت إيمانها بإسعاف المصاب حالا بعيدا عن استغلالها لحالته، صحت فى يأس واسترحام: لا. إنه أخى ولن أتركه أبدا. افتحوا الطريق حالا. أنا أحملكم مسئولية موته، تقدم أحدهم بتحد واضح وحاول انتزاع قميصه من يدى قائلا: سنأخذه غصبا عنك إنك لن تفرض رأيك، أفلت يده بصعوبة وباليد الأخرى تشبثت بالجسد الذى أضحى نصفه ملقى على الأرض بعد أن تخلى الرفاق الثائرون عن حمله، للحظات صار كلانا ينظر وينتظر للآخر هفوة صدام، التحدى ظاهر فى عيوننا ومرسوم على الأوجه غل وغضب جامح، امتدت أيدى أخرى وتحفزت الاتصل إلينا فى إصرار وحزم حتى الرفاق الثائرون فى فريقى يقفون على الحياد الإيجابى فهم لايزالون يحيطون بى إصرارى منعهم من إظهار موقف محدد مع أو ضد، حتى اننى تحيرت موقفهم، ثم صاح الشاب الذى كان فى مقدمة ركبنا لإفساح الطريق: أتركوه يأخذ أخاه. وانتهزتها فرصة لا يجب أن تضيع وزحفت بسرعة وعصبية خارجا من الحصار أضم ظهره لصدرى واسحب بكل عزم لدى تاركا الأمواج البشرية المتلاطمة تحرف من مساراتى وتلقى بنا إلى حيث اللقت. وبحزاء السور الحديدى لأحد الشوارع الرئيسية التى تصب فى التحرير أقمته على

الحديد مستندا ووقفت التقط انفاسى المتقطعة كانت الحشود قد اخذت فى كنس كل الحواجز الامنية من كل الجبهات وتمترس الأمن عند البوابة الرئيسية فى القصر العينى والشيخ ريحان وبدأت فيضانات الصفوف فى التقدم بسرعة مخيفة لا يوقفها شيء من غاز أو ماء أو رصاص والتحم الطرفان من جديد، احتمى البعض بالمصفحات التى باتت خالية تماما من الجنود، كانت الغربان تحلق فوق مشهد التطاحن وكأنها تتوقع بالغريزة مذبحة وأكداسا من الجثث، وقتها لم انتظر لتتبع باقى المشهد الحزين والثائرون يزيحون بقايا العربات من طريقهم، وقد استبد بهم الغضب والغليان من القوات التى حالت بينهم وبين دخول مبنى البرلمان، تسلقت السور الحديدى إلى الرصيف وسحبته إلى أبواب أحد المحال المغلقة وأخذت فى طلب المساعدة على حذر من المارين حولى حتى استجاب لى نفر منهم وحملناه على ذات اللواح لدسرة قديمة إلى مدخل احدى العمارات، فى بئر السلم تركته مع إحدهم وهو ينازع الألم وتسلقت السلالم لأقرع أبواب الشقق عل أحدا يغيثنى بماء وقطن، عدت بعدها وقد امتلأت يدى بمواد بدائية للإسعاف ومحام شاب تطوع لينقله للمكتب الذى أصبح سكنا مؤقتا له بعد الثورة، كانت أعمدة من دخان أسود ـ مصدرها مصفحة مشطورة لأجزاء آخذه فى التصاعد تحت كوبرى ميدان (الفريق عبدالمنعم رياض) الذى يقف تمثاله شامخا وسطه لا أدرى لم ذكرنى المشهد بمعركة استشهاده أهى الظروف تستدعى للذاكرة أحداثا لا رابط بينها فيما يظن عقلنا الواعى أم هو الإحساس

بضرورة أن تستدعى قوات الجيش للنزول للشارع لم يطل الوقت حتى استدعى طبيب من العمارات المجاورة فوسط البلد بها أشهر العيادات ومع وصول الطبيب حل على التعب فجأة ورحت فى سبات عميق.

كان الوقت فجرا عندما أفقت على رائحة البن المحمص من تلك الغيبوبة التى طالت حسب كلام مصطفى الجعفري، الشاب الذى استضافنا فى مكتبه، قال لى ونحن نشرب القهوة إن السويس مولعة والأسكندرية مشلولة من المظاهرات والجيش نزل الشارع أما الصعيد. استوقفته لأسأله أين الشاب الذى كان معى انتظر لحظة أربكتنى ثم قال: اسمه إيه؟:. لا أدري، أحدث له مكروه ابتسم وقال: أكتر من كده الراجل كان عنده كسر مضاعف فى الركبة وتهتك فى الفخذ وكسر ضلعين فى الصدر بس اطمئن حيعيش.: ممكن أشوفه، لا. جم أهله وأخذوه لمستشفي. أنت أنقذت حياته. بعد ما أسعفناه حكى إزاى كان واعى للى بيحصل حوليه وزعيقك فى الناس والعركة اللى كنت حتدخلها، واحب أسمع الحكاية منك، على فكرة أبوه طلع لواء على المعاش وسايب لك الكرت بتاعه امانة فى زمتى عشان يشكر معروفك، أما أمه فباست إيديك وانت نايم. أشرب القهوة واحكيلي!.

ضوء التباشير

كان يقف معتداً معتزاً بنفسه، كله ثقة، حسبته مغروراً ذائباً فى عشق الذات تأهب وانتفخ صدره وارتفعت مخارج الأصوات أتية من أعماق سحيقة فى باطنه كان صوته صادحا عالياً واثقا، جاء مع تباشير الفجر والظلمة تفرج رويدا رويدا غن النور، عمليا لم أكن انتبهت قط لأصوات مثل هذه، لا فى الريف حيث تكثر ولا فى القاهرة حيث تنعدم الحياة الطائرة المغردة، عملياً لم أفرق بين الزقزقة والنعيق لكنه كان حقا يصفر لحناً طويلاً جميلاً بمقاطع وأجزاء وقد حسبت أذنى قد خدعتني، إلا إنه استمر يكرر اللحن بتوافق أرغوانى عجيب، كان مشهدا فريدا لا يتكرر، عندها قررت إلا أستمتع به وحدي، كانت مشغولة فى الطناجر والصحون المتسخة، عازمة على الانتهاء سريعا حتى تلحق اليوم الدراسى المبكر وبعد معاندة قصيرة استجابت لتنصت معى لذلك المغرد الصغير الواقف على هوائى التليفزيون الممتد من العمارة المجاورة ناشرا أصابعه فى الفضاء لالتقاط البث، قالت: شكله لطيف وكأنه يستعرض قدراته أمام مشاهديه، الغريب إنه لا يقف على شجرة وكأنها تذكرت فجأة مطلع اغنية راحت تغنى هى الأخرى بصوت

خافت تماماً، أستوقفهُ....؟ وتوقف عنده، ثم عاد بصوت أكثر جمالاً ونبرة أكثر ارتفاعاً، اجبرتها على الصمت والاستماع بشدة ويبدو أن ذلك أسعده، فراح يتحرك إلى اليمين واليسار فى قفزات متتالية متأنية، أو كان يرقص على أنغام الطرب الصادح من حنجرته ربما، طار بعد أن توقف فجأة وانحني، كل العصافير تفعل هذا، هذا بلبل يغنى وحيدا منفردا قلت انه لايشبه البلبل، أفضل ان اطلق عليه اسم الشحرور، ـ : من أين أتيت بهذا الاسم، هذا الاسم يطلق على انواع تعيش فى غير بيئتنا، عموما اذهب لإيقاظ الصغير فاليوم اسبقه إلى المدرسة لاستقبال الأطفال، لا تنسى كراساته ولا تنسي..... قائمة طويلة، مازلت أحاول أن أنتزع صوت تغريده من أذنى ومع كل أصوات الأوامر التى تصب صبا، مازال يشدو منتهزا أول فرصة، ربما حفظت اللحن عنه، ربما لأن من المدهش أن تكتشف شيئا لم يخطر لك من قبل، أسرعت إلى المدرسة أجر الصغير وقد داعب جفونه رغبة أكيدة فى النوم، ومع إيقاعات نشيد الصباح، وصياح مدرسى الفصول، انتبه الصغير وظل يردد ما يقولون، كان يقف حائراً وحيداً حتى أخرجته أمه من وحدته وساقته نحو فصول الكيجيهات، من بعيد راقبتها وهى تدخله توصى به مدرسة الفصل، ـ : لا تخف يا صغيرى أنا فى الفصل المجاور يمكنك أن تراني، اجتزت أعتاب المدرسة نحو الشارع وأنا أتذكر كمّ الأناشيد التى علقت بالذاكرة فى الصغر، كانت عقولاً بيضاء، حتى إن الناظر سألنا من يحفظ نشيداً ليلقيه فى أول يوم

بالمدرسة الابتدائية، وقتها كانت الدراسة تتم للصغار لمن هم فى السادسة وبضعة أشهر، مغرد صغير خارج السرب، حسبت ان شعر شوقى يمكن ان يقال فى روضة الأطفال، قال لى وقتها انظر إن أغلب زملائك لم تطل عقولهم على ذلك النشيد، فصحت فى نشيجٍ مكبوت قائلا: ولكن أحمد شوقى قالها لأطفاله ولأحفاده وقد فهموها وحفظوها!! قال: وتعرف لمن قيلت أيضا أحيى ذلك لابد أن تذكر لوالدك إننى أريد أن أراه... بعدها لم يكن لزاما على حفظ شيء من الشعر كالسابق، غير أننى ظللت أعانقه طوال العمر...ـ: صداح يامك الكنار ويا أمير البلبل، قد فزت منك بمعبد ورزقت قرب الموصلي، قال لى ذات مرة ـ: إننا يجب أن ننتبه للأشياء حولنا حيث تختلف وتخفق، أحب أن أتذكره دائما مشرقاً، متفائلاً، كانت أروع الأشياء فيه كان هناك متسع من الوقت، ذهبت حتى أراه، اليوم هو أول يوم لحفيدك فى المدرسة، كان خائفا جدا، لكن أمه معه وهي.. ربما، بالطبع قال نشيداً، أذكرهُ وقتها ومن وقتها، أتصور إن الكل يغنى من قال إن الوجود بلا ألحان، نعم لو تعلمون ذلك، فستنتصروا..... فى النهاية.

التبكير بالغد

أمسك بيدى وجرنى وراءه، أخذ يكيل النصائح وهو يجرنى بين الأروقة، تعبت ونهجت ولهثت توقفت بغتة، وقد سحبت يدي.. بلغه الأمر : عم فاروق، توقف والتفت إلى مستفهما : ايه يا ولد، يا عم فاروق ميصحكش أخش على الراجل، وأنا بنهج وعرقان، عندك حق تعال نمشى بهدوء الدنيا مش حتطير، كنا بنقول إيه آه... اللواء طوسون مدير الأمن بالشركة الفرنسية اللى بتنفذ خط المترو هو فى عزه لسه إنما طلع معاش مبكر من الداخلية باختصار سعى عشان تحل محل الوالد المرحوم فى نفس وظيفته أنا معنديش شهادة تجنيد لسه، اطمئن هو حيحل كل المشكلات فى الورق، حتى الباب، طرقه فى رهبة ورفق أدخلنى بدفعة حازما يده، لثوان امام المكتب... حتى رفع إلى اللواء عينيه من تحت زجاج شفاف للنظر، فى لحظات استعرض وتحسس ما تحت الجلد، وفى العروق، والنظرات، اسمع يا بنى ان كان عليا موظفكش بثلاثة جنيه لكن لجل أبوك المرحوم الطيب، أنا حوظفك بأعلى أجر أساسى لفرد أمن فى الشركة، ومش عايز حد من زمايلك يعرف.. أنت جبت كام فى الدبلوم، أنا من الأوائل، وكان ممكن أكمل فى هندسة حلوان، لانت لهجته : خسارة يا محمد مسئوليتك كبيرة خمس أخوات والوالدة، يا ترى حتكون

جدع زى ابوك، كان تساؤلا حادا مزعجا لم أرد عليه إلا بكلمة : إن شاء الله كانت كلمته حنشوف علامة على انتهاء المقابلة، تركته أنه نفس الحديث الكل يتوقع منى أن أكون قدر ما إلقى إلى من أعباء وأنا تائه بين الأشجار العملاقة أين ذلك الرجل فى داخلي، أنهم ينتظرون منى أفعالا كبيرة، ارتسمت ليلة العزاء فى البلد بالمنيا الأعمام الأحد عشر بزوجاتهم قالوا : انتى صغيرة واولادك صغار أكبرهم محمد لم يتم الثامنة عشرة اختارى أيا منا ليكون زوجا لك ليربى الأولاد، لمت الأفراخ الصغيرة وتشبثت بى من رقبتى وقالت : بعد أبو محمد ليس لى زوج أنا تزوجت أولادي، أدركت وقتها أن الأحلام ضاعت وأن على الف الف مهمة، على اطعام الجوعي، وحمل الماء من النبع وحتي... وأى شيء سوى العمل لقد ضاعت فرصتى الأولى فى أن أكون مهندسا حين إلتحقت بالثانوى الصناعي، وجاءت صحوة ما وتفوقت كان فخورا بى فى زيارته الأخيرة للبلد اعطانى وعدا... اعطانى ثمن أربعة أطقم من الملابس... كيف له أن يفعل... لقد مناني... آه من قال ان الأحلام لا تموت حين يموت العائل، تموت أشياء لتحيا أشياء على واقع جديد، ولابد من التخلى عن الأحلام، فرد من أمن الشركة، أعمل أثنتى عشرة ساعة أقل من العادى أكل، أقل من العادى إلبس وأنام استنفد أيامى وأجر غدى ورائي، لا استبقي، ولو للحظات بين أظافرى مخافة أن اتطلع إليهم فأتذكر كم أشقى لجمعه، وربما أضن بها، أنها مصاريف الأسرة فى البلد، فأنا بديل الأب الآن فى

التاسعة عشرة والعشرين والثانية والعشرين وهلم جرا، فى الإجازات اناقش أحلامهم هم.... وأنا البس زى ضابط موقع تحت الأرض يحرس أعمال ومعدات الشركة، يروى من الأعاجيب أن حفارا اختفي، وهم يعملون فى الخط الأول... حفار عملاق يطيب لعم فاروق روايته أره، وهو يتعجب.. يشغلنى همي، فالدرب فى اتجاه واحد، دروس الصغيرة وامتحانات الكبير، طول الخط بين شبرا والجيزة الاف مواقع العمل الصغيرة والكبيرة.. عمل قاس فى الصباح بعد سهر الليل البارد تحت الأرض، اتفقد فى دوريات مهمات عمل اليوم.. مسامير ربط، معدات لحام، أوناش بقطع غيار عملاقة الاف المنافذ المفتوحة المعرضة للسرقة فى أى ساعة.. قسوة العمل تحت الأرض... تم دفنه سريعا جدا.. جاء من القاهرة فى عربة إيصال خاصة قيل إلينا أنه مات... مات من الشقاء... أمضى حياته الوظيفية ملازما للشركة الفرنسية التى تبنى الخط الأول للمترو ثم ما أن انتهت حتى تبعها مهرولا إلى الخط الثاني... مقسوم لى أن أحل محله.. أكان نذرا ان نعمل فى الأرض، بل تحت الأرض لجيلين متتاليين فى حفر... وغبار الحفار العملاق... يشق طريقه تحت القاهرة ليلا ونهارا... هل يا ترى سوف اعيش لأرى الخط الثالث... إذ ربما لحقه أحد أولادي.. أو آه... أنا لم أتزوج بعد ربما احد أخوتى الأصغر هذا التبرم لم يمنعنى من الحفاظ على مورد الرزق الوحيد المتاح لأسرة كبيرة العدد فى الصعيد...وهناك دائما أغراء الكسب الحرام، الاف القطع الملقاة بين أظافر الأوناش

والحفارات... صلب من أجود الأنواع، تحول صاحبه الحرامى إلى مرحلة الاكتفاء، من قال ان الحرام ينفع، كيف حال ابننا محمد اسمعها من وقت لأخر من اللواء طوسون يسأل عم فاروق رئيس وردية الليل كان يرد : عال العال يا باشا برعايتك ليه... خذ اعطه هذا قل له عيدية الأولاد من عمهم... كانت حوافز وبدلات الشركة جيدة وتسعف الالتزامات الطارئة.. لكنها لم تمكنى قط من إدخار عرق يوم "يادوب عايش" بلا أحلام فى غد، هباته لى تسعدنى نعم كلماته فى السؤال عنى تسعدنى أكثر نعم حتى لو من وراء حجاب الرئيس والمرءوس انه يتابعنى عن بعد، شيء ما بين عم فاروق واللواء يخصنى أو يخص والدى الراحل شيء يجعله يثق فى ويغدق على أو أستحق هذه الحوافز والبدلات كلا ولا كنت أستطيع العيش وأهلى بالراتب الأساسي، حتى ما صرفته الشركة لوالدى كمعاش ومكافأة، ضاع فى بالوعة الالتزامات لأطفال دون عائل لهم أو معين، الدنيا تلاه.. الن تقول لى يا عم فاروق لماذا كانت لوالدى تلك المكانة لدى اللواء... ضحك قال: أظنك كبرت الآن سنوات الخبرة حفرت على ثنايا وجهك آثارا... أنا من زمن صعب... كل الأجداد كذلك ميغركش منظري... أنا جد قديم، وجندى قديم... ياما خندقت فى الحرب على شط القنال وحفرت الرمل بأيدي، وشلت الظلط بأسناني... لكن العمر والموت مخدنيش... أبوك كان زيي... ياما خدنا كاربيج لهب وقنابل وردمنا خنادق بأموات مرحومين شهدا عشان كدا ابوك اتجوز كبير والموت مطالوش إلا... تمتمت

الله يرحمه..، يا محمد كتير شفت فى عينيك ضغينة للدنيا وللحياة وللأب اللى مات وشيلك المسئولية بدرى اتسعت حدقتا عينى باندهاش.... إلى هذا الحد كان يظهر عليَّ، أيوه كان باين عليك، اللوا قال لى كتير فى الأول، مش حيستحمل، ربك والحق هو أنا كنت بقول زيه... الشغل هنا فحت الفحت... فين رجالة زمان.. قام يستأنف دور المرور على الرجالة والمنافذ... كانوا فى المدرسة الأعدادية يحدثوننا أن أجدادنا هم من فحتوا القناة... كانت الشركة الفرنسية.... تحضرهم من الأرياف هناك ترعة حذا الشام ينبغى شق الرمل والصخر والجبل حتى يمر الماء... رغم المشقة والعذاب حفروها... رغم الصعاب، بلا لوادر حفر، ولا شوكات عملاقة حفروها..، من حرك جبل التراب المتخلف عن أعمال حفر الأمس..، عبر مترجم سألوا كل العمال... قولوا ليس خطأ من حركه... سنكافئ من حركه بأكبر أجر... هذا عمل خارق لعشرين عاملا فى اليوم... لا يمكن ألا تكونوا أنتم من حركه... لا يمكن أن تحركه الأشباح، حقا اذن وفرتم أجرة نقل تراب أعمال حفر أمس من الشفاط إلى الخارج؟. حسبت الأيام فوجدتها أعواما مرت، عنى لم توجه عبارة أو ملاحظة لكن لكل شيء نهايته المحتومة أفراد الأمن حولى تتطاير، وأنا باق حتى آخر يوم فى مشروع "شبرا ـ الجيزة".. ابقانى طوسون بجواره حتى الآخر... كان عم فاروق قد فارق الدنيا مثل هذه الأيام، ولغير سبب لازمنى سؤال... كان لابد من أجابته.. رغم أنها معروفة... كان لابد لى ان اسمعها منه أو قد نجحت؟! أو

قد صمدت لتجربة "موت الاب" "حمل امانة أسرة حتى الشط"... كان المرحوم فاروق يحمل عنه عبء الإجابة؟! طرقت الباب عليه، وقد أفرغ ما بيده من أعمال.. آه محمد تعال ادخل : أنا كمان حسلم عهدتي، وربما لن أعمل مدير أمن "الخط الثالث"، فاجأنى بغته : أنت من حرك جبل تراب الشفاط للخارج منذ العام، لم أستطع الانكار، كان يمكن أن تأخذ أجرا كبيرا على نقلك كل هذا الكم، لقد أخذت كفايتي، لقد علمت أننى أستطيع، جمده رد الصمت لبرهة : آه الآن فهمت، لم يكن يقف لأحد لكنه فعلها، لانت قسمات وجهه فجأة وهو يصافحنى بحرارة الدماء المتدفقة من عطاء قلبه، مازلت أشعر بحرارة يده.

قانون مولاتى

بالمقابل جلست شجر الدر.. تنتظر فراغ الطبيب من إفراغ الدواء فى حلق الصالح نجم الدين أيوب، ظلت أصوات تأوهاته تخرق مسامعها وهو ينازع الموت والحياة والدواء والطبيب .. كان وجه الطبيب ينطق بكل شىء عرفت أن لا فائدة .. أسرعت فأمرت الطوشى محسن بالتحفظ على الطبيب وإمرته إن نطق بحرف، أن يفصل رأسه عن جسده، جلست وقد تمالكت زمام أمرها تقرأ القرآن على رأسه .. كان الصالح يغيب ويعاود اليقظة ويفتح عيناه ليجدها لازالت تقرأ ويبتسم .. غالبت دموعها وهى تراه يومئ لها بالاقتراب منه، كان الصالح نجم، قد أنهى لتوه جولة أمام مرض الموت، تحطمت فيها اسواره وانسحب ماء الحياة من وجهه وجسده، اقتربت، اختطلت أنفاسهما، أنفاس فارس قد قطع الجهد والتعب كل قدرة لدية على رفع يده للدفاع عن نفسه، أنفاسها وهى تأخذه فى صدرها لتوسده قبل وسادة القبر، فى همس قال: أموت الآن يا شجر ولويس على أعتاب المنصورة والحرب فى ذروتها ما أشد شقائي، يا رب قد رضيت يا رب انصرهم على لويس. قالت تواسيه : تنتصر بإذن الله ويشفيك الرحمن الرحيم قال قاطعاً حازماً أمره : إنى مفارق الساعة .. فإذا قدرت على لويس فثأرى

لقتله الأطفال والغلمان فى دمياط وحرقه النساء الحوامل فى مراجل الزيت وإفساده الحرث فى الأرض، لاحقته بعبارة : أفعل أن شاء الله وكان لا يزال يقاوم : فإن استسلم قبل أن تقدرى على قتله فأذيقيه الذل والهوان فوالله لا يذل ملك إلا ملكه ولا يكسر شرفه كفارس إلا أن يعامل كمجرم وحقير. قالت : ذلك عهد الله على ذلك . كانت تشعر به يقاتل اقتراب الموت منه . قال : إلى بأوراق ودواه وارفعى المصباح حتى أرى النور على صفحاتى . أسرعت شجر الدر فأحضرت أوراقًا ومدت إليه الريشة والدواه وقد واتته القوة .. فأخذ يوقع الأوراق .. وأدركت أن صحوة الموت أدركتهُ وعزمت ألا تراجعه فى وصاياه الأخيرة أياً كان ما يكتبه!.. وصال بريشته وجال على الصفحات وبلا درع وبالريشة قاتل الصالح نجم الدين . الفارس والسلطان والإنسان. معركته.. فهوت الريشة من يده وانسكب المداد وهو يردد قول الله تعالى : (فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ المَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِى العَذَابِ المُهِينِ)* .: فى صمت ودعت رفيق حياتها وارقدته فى اتجاه القبلة .. وراحت تحصى الأوراق التى حملت فى معظمها توقيعه السلطانى على بياض .. ماذا تقصد من ذلك يا صالح .. إن أملأها أنا .. كان بعض الأوراق يحمل بخط يده توجيهات عامة للجيش المحارب بالطريقة واللغة التى اشتهرت عنه وعرفها فرسانه ومماليكه .. والبعض الأخر يحمل التفويض لفرسانه بالاسم فهذه

لأقطاى وهذه للأمير فخر الدين قائد الجيش . فذالك لقائد الحرس بيبرس البندقدارى وقد ترك تفصيل التفويض فارغاً وكأنه يترك باقى الأمر السلطانى لها نفسها تملأه بما تريد وحسب مقتضى الموقف .. كل الأوراق لا تحمل وصية لأحد .. لقد كان الصالح لا يزال يحارب ويصدر الأوامر لجنوده وهو ميت .. عرفت أنه لم يمت .. وأن عليها أن تحل محله وتأجل إعلان خبر الوفاة .. حتى الوقت الذى تأكل فيه دابه الأرض عصاه .. نعم لقد كان يقصد هذا ولم يكن ليحكم وهو ميت إلا من خلالها كتمت عن صدرها الحزن .. فقد احكمت غلق الأبواب، يموت الصالح ولا تنوح عليه، ظلت إلى جواره حتى الصباح وقد تماسكت تماماً، فاليوم تفقد الزوج والحبيب بعد ان فقدت ابنها منه من سنوات قليلة، يومها بكت بشدة، واليوم تأخذها الرعدة من شدة سلطانها على نفسها ألا تبوح أو تنوح....؟! وعندما مثل قائد الجيش الأمير فخر الدين ابن شيخ الشيوخ وطدت العزم على الا ينال من ارث الصالح شيئاً، فدفعت له بالأمر وقالت : إن مولاك الملك الصالح نجم الدين أيوب يأمرك أن تصلى عليه صلاة الجنازة وألا تعلن وفاته حتى تقتل جيش الغزو وتدحر لويس وقد ذكر قبيل وفاته الأطفال القتلى والنساء الحرقى آثر تخليكم عن دمياط للغزاة بلا قتال ولو ليوم وكأنها غرست فى جنبه سكين استبد به الألم وقام وهو يقول : مولاتى تعلم انى ما جبنت ولا تخاذلت أمام لويس ولا فررت أريد النجاة .. قالت بتحدى : (حقاً .. فماذا كان إخلائك لجنودك ..

وعودتك لمعسكر المنصورة مسرعاً .. أحسبت أن السلطان مات وأن لحظة الوثوب على كرسى السلطنة قد حانت إذا شئت يا فخر الدين فالأمر أمامك والسلطان مات حقاً هذه المره) . ولم يكن الأمر فرصة تنتهز ولكنه عار يثبت عليه فأسرع يقول : مولاتي، أقر بدم القتلى فى دمياط وانه فى رقبتى .. ويعلم الله إنى ما خذلتهم ولكنه قدرى لأننى قائد الجيش .. أما العرش فلست بطامع فيه .. ولك ان ترى أخلاصى لمولاى حياً وميتاً فانظرى ما تأمرى به اطيعه واناصرك .. فرغت صلاه الجنازة .. كفن الصالح فى جناح الحريم ولم يشعر بهم احد .. كانت شجر الدر قد احكمت امرها على وصيفاتها حتى غدوا كتيبة من الجند فى خدمتها مثلها مثل الصالح مع مماليكه، شغوفه بأصطناع الأتباع وطاعتهم لها، فى الليل رحل قارب صغير على صفحة النيل للقاهرة يحمل جثمان الصالح ليستقر بقصر الروضة بالجزيرة.. وفى الصباح التالى استدعت فارس الدين اقطاى وإلقت إليه كتاب الصالح بأن يسير إلى الشام فيحضر ابنه (توران شاه) ونظر فإذا الخط والأمر والتوقيع بخط يد الصالح نفسه وكان مماليكه يحذرون فى أوقات السلم ان يدس عليهم أوامر منسوبة ومخادعة لسيدهم فكانوا يحفظون خطه ورسمه . هتف :: الآن فى قيظ المعركة ؟؟ واعتذر آقطاى عن المهمة وطلب أن يظل فى خطوط القتال.، فصرخت فيه :: أتريد أن يموت الصالح فجأة فيثب فخر الدين للعرش؟! كانت قوية فى صراحة الخائف من حدوث ذلك ولما تمثل له فخر الدين وقد جلس مكان سيده، صرخ : لا .. لا ..

سأرجل من فورى للشام .. قالت وهى جادة : (عد سريعاً يا آقطاى فالحرب لن تنتظر ولويس يزحف ليعبر بحر اشموم وسوف يحاصر المنصورة عاجلاً، وحرام أن لا يقف فارس مخلص مثلك فى الدفاع عن دين الله) وحين تجهز فارس الدين آقطاى للرحيل، جعل بيبرس البندقدارى يقسم امامه على ألا ينسحب من المنصورة أبدا مهما كانت الأوامر والمظروف ...!

❖ ❖ ❖

استدار (روبرت دى ارتوا) أخى لويس التاسع ملك فرنسا فإذا هو على مشارف القصر السلطاني؟ وكان قد عبر بحر اشموم بعشرة ألاف فارس .. طليعة الفرنسيين وخيره فرسانها .. كان فخر الدين قد أعاق الجيش الفرنسي أكثر من خمسين يوماً، فأحرق ابراجهم ودمر جسورهم واحتفر الأرض كلما ردمو الأرض ناحيتهم فلم يمكنهم من العبور إليه وقد حصن المنصورة من كل الجهات فما كان منهم إلا أن عبروا عند قرية سلمون فقد كانت المخاضة تسمح بعبور الفرسان دون المشاة أو الآلات والأبراج الحربية وثب فخر الدين على حصان وهو نصف عارى وكان يعد نفسه لصلاة الفجر، كان يحسبها غارة من فرسان الداوّية غير أنها كانت دورية استطلاع للعدو وبسرعة جمع فخر الدين باقى أفراد الجيش ليقطع عبور جيش الفرنسيين من التدفق، غير أن كونت ارتوا كان قد قسم فرسانه إلى قسمين . وكان من نصيبه

القسم الثانى الذى هاجم به قصر السلطان، أسقط فرسان القسم الأول الأمير فخر الدين ابن شيخ الشيوخ قتيلاً بعد أن حاصروه هو ومن بقى معه من جنده بين منطقة العبور وقلب الجيش السلطانى المنشغل بالهجوم، وحسب الكونت أن الطريق أصبحت مفتوحة ، للاستيلاء على القصر والسلطان نفسه وأسره كان بيبرس قد تلقى أمراً سلطانياً بالا يتراجع قيد أنمله، وحين أراد إخلاء الحريم، قالت له شجر الدر، لا احد فى حريم القصر يمكن للفرنسيين حرقهم فى قدور الزيت، كانت قد وطدت العزم على قتل من تجرؤا منهن على الهرب من القصر، أمسكت جواريها السيوف عند الأبواب، وظل الطريق مفتوحاً حتى حدود قصر السلطان حين انشقت الأرض عن الجنود فامتلأت الساحات بالقتلى والجرحى، ونظم بيبرس الصفوف جيداً وشتت ارتوا فرسانه بمحاولاته فتح ثغرة فى استحكامات الحرس السلطاني، غير عابئ بخسائره الجسيمة وأخيراً سقط قتيلاً وداسته أقدام الخيول وتفرق جنده محاولين الخروج من المدينة، تفرعت بهم السبل وسط الأزقة والحارات فصبت العوام عليهم قدوم الزيت المغلى ورموهم بالحجارة حتى قتل معظم من دخل المدينة وتولى الحرس السلطانى مطاردة الباقي، أحبط فخر الدين قبل استشهاده وصول باقى الجيش الفرنسي، وتمسك الباقون بهذا الموقف وقتل الألوف وفى نهاية اليوم(يوم الكبسة) قتل الأمير ارتوا أخى الملك لويس القديس واستشهد الأمير فخر الدين أتابك عسكر السلطان وقائد الجيش،

وأصبح القائد بيبرس .. يدعى بطل المنصورة .. وفى نهاية اليوم يصدر الأمر السلطانى بجعل الفارس بيبرس نائباً عن قائد الجيش وينادى منذ اليوم باسم ركن الدين بيبرس ويطير الحمام للشام بأنباء دحر هجوم لويس عن المنصورة واستشهاد فخر الدين، فيصلى آقطاى صلاة الغائب على روحه الطاهرة ويخرج فى الفجر .. يريد مصر !

❖ سورة سبأ – الآية رقم (١٤)

فى حدود الممكن

لن أغفر لنفسى هذا الخطأ، قلتها وأنا أطالع (كارت تعريف لوظيفته) بالفعل أذكره واضفت له أين أسكن بالتحديد، بعبارات مبتورة أمرتها بإدخاله الصالون، جاء بلا أخطار مسبق، تصنعت الدهشة وأنا أقابله مع رسم الإنكار لما صنع بقلب الشفاه، صدق حقا كل عباراتى الجوفاء، خرجت من لسانى تحت إلحاحه، تعال فى أى وقت ترغبه، نتقابل في. لم ينتظر حتى أبدى اعتراضا أو ما شابه على مسلكه فقد اندفع فى سرعة سيارة سباق: الأمر عاجل، لا أعرف كيف انتهى منها؟ وقد ازعجتنى عبارته الغامضة: عن ماذا تحدث يا أستاذ. "أ"! انتبه لتسرعه، تمادى بلا مقدمات: ألا تعرفنى أنا أيمن عبدالستار سياراتك لدينا فى التوكيل منذ أسبوع. عبرت بإطلالتها كالطيف قبل أن أجيبه محتدا: تقصد منذ أربع عشر يوما، آه. تذكرتك أنت (الميكانيكال).؟ رد بعجرفه مفتعلة: لا أنا مهندس واحمل درجة ماجستير ـ عجم حروف عربيته ـ ماسترز انجكشن سيستم! ثم شمخ بأنفه نحو السقف، بدأت أفقد صبرى وحلمى معا: تشرفنا، كيف حال سيارتنا لديكم؟ ألن تسمحوا لى باستعادتها؟ أقسم ألا أغضبها مهما حدث الأولاد وزوجتى يفتقدونها بشدة. ابتسم فى ود: سيارتك فى أمان، أنا أهتم بها

شخصيا وكل قطع غيارها الأصلية سأضعها لك وبنصف ثمنها، انس السيارة تماما. فكرت جبهتى استعدادا: إذا ما المشكلة؟. أقصد زيارتك الميمونة وكلامك عن ماذا بالضبط؟ ارتسم البؤس فجأة فى عينه: إنها روايتى يا أستاذ، لا أعرف كيف انهيها؟ تذكرت بغتة انه قال لى شيئا ما عن قصة يكتبها وانا اتفقد سيارتى المريضة بين عنابر الإصلاح وقتها منحته كتابا من مؤلفاتى ودراساتى النقدية عل هوايته تلك تفيدنى بإنجازه لعمله ويسارع به. أسرع يقول مقاطعا: لقد سألت عنك وقرأت لك تعجبنى افكارك وهذا ما دعانى لطلب النصيحة، بطلى فى مأزق وأنا لا أعرف كيف انتهى من الرواية، إذ كلما اخترت طريقة للختام لاحت لى اخري. وتالية، أو اظنها بلا ضفاف واقعية ويشوبها الافتعال، بل وحتى حمقاء وعلى هذه الحالة لشهور تطاول الجبال من المعاناة. فى حذر حتى لا تسوء الاحوال بيننا: اظنك تعرف النهايات المفتوحة، بل هى الأقرب لمن على شاكلة تجربتك فى القصة، أقصد أصحاب الاتجاه العملى وتدركهم تجربة الكتابة بلا مقدمات ومبررات ابداعية عموما انه ليس عيبا بالضرورة المهم ماذا كتبت، الم تعرض روايتك على أحد، قارئ، صاحب ثقافة حياتية إيجابيه، شاعر مثل (السند باذ أو الجخ أو الشحط) أنا أعلم انهم يصلحون سياراتهم لديكم؟ هز رأسه مؤمنا على ما أقول ثم جادا: دخلت سياراتهم فعلا الصيانة وخرجت سريعا، لم يتح لى الوقت لعرض الأمر عليهم، لكننى عرضت الرواية على سعادة السفير رضوان ولواء سابق بالجيش.

اصبح الأمر مثيرا أكثر مما توقعت، تهيئت لسماع الأراء: وماذا كان رد سعادة السفير؟ مع حركات من كلتا يديه: لديه قلق بالغ من تحولى لكاتب كما إنه شجب بشدة مأزق البطل الذى يرى إنه بلا حل وفى الإجمال تروقه القصة بوضعها الحالى ويرى ضرورة تثبيته! علقت: رأى دبلوماسى له وجاهته، وما هو رأى اللواء؟ سرح: إنه لا يرى هذه قصة أو رواية ويقول إنها خواطر، مقالة، كلام فارغ، بلا أزرق، أى شيء إلا أن تسميها قصة. عموما هذا كلامه دائما لا يغيرة تجاه كل شيء تقريبا إنه صاحب مبدأ لا يحيد عنه.

أكدت: أعرف هذا الرأى وصاحبه إنه كما تقول فلا داعى للإحباط، اى عمل يعرض فى نادى القصة يتعرض لمثل ذلك وأكثر، اعطنى روايتك لأقرأها وسوف نرى بعد ذلك ما يمكننا عمله؟ تهلل وجهه بالبشر وطلب السماح بدقيقتين ليأتى بها من سيارته رباعية الدفع، على أثرها كان لدى صندوقا أنيقا من البلاستيك المستعمل لحفظ قطع غيار كبيرة باهظة الثمن، ما الذى أوقعت نفسي، فيه هذه مجهودات سنين وليس شهورا طوالا كما يدعي. قلت له أن يمهلنى وقتا ولم أنس أن أشدد عليه إننى أحتاج سيارتى بشدة غير انه شدد على انها تحتاج لاسبوعين على الأقل لتتعافى من استعمالى المشين واردف ذلك بعدد لا بأس به من المصطلحات الهندسية والميكانيكية العويصة، كاد ينصرف حينها استوقفته للحظات ـ فقد كان يتملكنى الفضول بشأن مدى ثقافته واطلاعه؟! ـ أجاب بكلمته بعد أن نظر إلى بخبث. "هزار أفسانه"

تعرف الأساطير منذ بدايتها غير المعقولة إن شاء أمضاها أو حورها أوغذاها بملء الأنهار وبنات الأفكار لكنه يصنع لى أمثال الأحلام فى وهدات من لحظات حاد وتسلل خفية خلف الستار، راح يحدق من فجورة فى مثل ضوء الشمعة، تسللت من تلك الكوه تفاصيل كثيرة، أدركها بعين الشغف والعجب والإبهار، زاد الدم الحار فى وجنتيه وأوشك على فضح مكنون الأسرار، تطلع إلى أن يطل بكامل رأسه فى تلك الفجوة، بغتة حجبت عنه الرؤية وغطته ستر ظلام كان الليل قد غادر شرفة المكتب أو كاد، حين ادركت انى قد امضيت ساعات أتحسس فى استغراق هادئ خيوطا تفضى جميعها إلى مجهول، احسبها تنقلنى رغم الجهد لبر أمان ماذا على أن أفعل، الناقد قد تعجبه بدايات الحكاية لكنه لا يتدخل فى عمق تلافيف الكاتب، قد يرديه الحل.

أسبوع وتعقبنى فى ملتقى حزين عمر بالنقابة ووجدته يهمس فى أذنى من الخلف: كيف حال روايتى بين يديك وأشرت أن يتبعنى لخارج الندوة ومباشرة رددت: حالها حال سيارتنا التى مازالت فى عنبر الكسور لديكم، قادنى بعيدا عن باب القاعة إلى البهو وهو يؤكد: لا تقلق أنا مهندس متمرس، ستكون جديدة تماما. قررت أن أصارحه: أخشى إننى لا أستطيع أن أقول ذلك على مخطوط روايتك فلديك عيوب فنية خطيرة.

بهت واصفر وجهه ولم يردعنى ذلك عن التشريح : لديك سقطة فى الحبكة الدرامية الرئيسية وثلاث شخصيات لا مبرر لوجودها ولا تخدم أحداث القصة، كما إنك تناسيت الدوافع تماما مع البطلة فأصبحت عرجاء بلا جر أمامى أو خلفي، وهناك التزامن الحركى غير المنضبط، اضافة لعدد كبير من الاستعارات والتشبيهات الشعبية المبتذلة والتى لا تناسب بيئة القصة ولا ابطالها! ارتمى بظهير فى حركة قنوط على الفوتيه: وبطلى الرئيسي، اقصد انك لم تذكر عنه شيئا؟ استوقفت ثرثرته بحركة تبطيط: بطلك جيد ووضعه فى الرواية معقول، وإن كنت لا أعلم لماذا لم يصمد معك للنهاية ولا كيف لم يتغلب على مأزقه الحالى ويأتى تصرفة متصفا مع إمكاناته، أغلب ظنى بسبب الثغرة التى بعرض متر وربع فى الحبكة؟ بتوسل: والحل يا دكتور عقل أنت لا تعلم كم هو مهم جدا إتمام الرواية، إنها ابنى البكر وقد انتظرت سنين.

وكان الموضوع خرج من يدي: تستطيع ان تأخذها لكتاب اخرين. ربما قالوا لك أسبابا أخرى أو نصحوك بإعادة الصيغة مثلا لتلافى العيوب الفنية والتغطية على العجز الدرامي، أو صنع حبكات صغيرة لتستخدم الشخصيات التى بلا مبرر لكن هذا ليس اسلوبي، خاصة ان الفكرة كلها تعجبني؟ بغير تردد أسرع: أنا لا أريد أن أذهب وراء خيارات جديدة تماما، فالسيارة إذا عبثت بها أكثر من يد ورأى تلفت واستحال إصلاحها هذا ما تعلمته ينبغى دائما السير وراء متخصص وتطبيق خطوات منضبطة.

ابتسمت منتصرا فقد كنت أعلم إنه يمكن التفاهم معه: اتفقنا إذًا اسرع بتسليمى سيارتى وأنا أعد لك وريقات خطوات وإرشادات إنجاز الرواية كما ينبغى لكاتب محترف أن يفعلها. أسرع بمد يده بالمصافحة: اتفقنا، السيارة ستكون تحت عمارتك غدا فى العاشرة صباحا.

المتسائل بنعم

قد لا يسمح الوقت بالتفكير؟ قالها وهو ينهى المقابلة، سرحت بعدها إلى ماذا يرمى بلهجته تلك الإسكندرانية، القرار قرارى فى النهاية وفوق ذلك فإن فريق العمل لدى له رأى أيضا، ربما يراهن على امتيازات فى باطن الموضوع لم الحظها من كلامه! دوائر متصلة ومتشعبة كنت أفضل لو أن نظيف أرسل شخصا آخر أكثر نظافة من هذا، أكثر صراحة ومباشرة لكنهم أرسلوه فى النهاية، كل مواصفاته أنه من داخل المطبخ يعرف بالقرارات قبل صدورها تنبهت إلى أنه شخص مهم وخطير وإن كانت شخصيته المتعجرفة لم تعجبنى بل إن ما يقوله خطير فعلا كانت اتصالاتى سريعة، الليلة اجتماع مهم للمكتب السياسى للحزب. لدينا عروض ينبغى أن نناقشها. لا، لا اعتذارات، الأمر عاجل، تركت السكرتارية لأمور الاعداد وانصرفت لغداء عمل معد مسبقا ولا يمكن إلغاؤه، إنه أحد الوزراء السابقين الذين اعتبرهم من دهاقين السياسة، تهلل وجهه حين برزت من خلف أحد الأعمدة القريبة منه دائما ما يحب الجلوس خلف ساتر، عاجلته بمد يدى بالمصافحة قال: حسبت أنك لن تأتى أو على الأقل تتأخر؟ أجبت: وهل هذا معقول، معاليك

وميعادك لهما قدسية خاصة لدي. القى كلماته بحذر: ربما لأن زائرك اليوم (طرش) العرض وانصرف سريعا. ركزت أنظارى على وجهه ثم قلت: معاليك على علم بأمور مهمة لم إذًا لم يحادثوننى فى التليفون بدلا من تلكم الرسل المستفزة؟ ضحك كاشفا عن تعاليه: المكالمات يتم تسجيلها لقد كنت كما تعلم متجسسا قديما، عموما انصحك بالقبول معاندا: القبول أو الرفض يتقرر فى اجتماع الهيئة التنفيذية الليلة، مستغربا مسلكي: معقول ألست رئيس الحزب يابدوى وكل الأمور مرجعها اليك، مع هزات من رأسى، نعم، نعم ولكن هذا أمر أكبر من سلطاتي، المشاركة فى الانتخابات من عدمها الثمن الذى سوف ادفعه شخصيا وقد أخسر بضعة ملايين، سمعتى السياسية، قاطعنى بلهجة أبويه لا تناسب كلينا: اغفر لى يا ولدى مرة أخرى، ما هى سلطاتك بالضبط إذا كان أمرا كهذا يخرج عنها، سامحنى فأنا من زمن المركزية فى الحكم!

- تقصد معاليك ديكتاتورية اتخاذ القرار فنحن كما تعلم سيادتكم لم نحكم حتى الآن أو حتى نشترك منذ أكثر من ثلاثين عاما، هرش بالأصابع جزءا من (صلعته): أقبل الأمر دون نقاش وفلسفة استشارة مجلسك هذا، فكلما كان عدد أقل يعلم بالاتفاقيات المعقودة من تحت الترابيزة كان ذلك أفيد لك ولنا.

-: والثمن الذى عليَّ أدفعه من مالى الخاص لشراء الدستور وفصل رئيس تحريرها وقد أسترد أو لا أسترد مالي أبدًا.

– هذه صفقة سوف لن تخسر شيئا يا بدوى أعدك بذلك ثم انظر من زاوية أخرى الدستور صحيفة وصوت ينضم لك فى المعركة الانتخابية (٢٠١٠) بل سوف يهلل لك أقطاب حزبك لانك تزيدهم قوة،

قاطعته ببطء التفكير : إذًا استشيرهم كما قلت لك ويكونون عليَّ علم بالأمر.

بحدة لا لا نريد أن يعلم أحد أو يتسرب الخبر قبل الانتهاء فعلا مما هو مطلوب منك محاولا السيطرة على رفضه: فات الوقت معالى الوزير فقد تركت أوامر بالاعداد لاجتماع الليلة

– فى تجهم: أنت تخاطر بافشال الموضوع هذا الأمر يجعلنا على الحافة وأنت تعلم أن ذلك ليس من السياسة فى شيء؟ قلت مندفعا: معاليك لم تسألنى عن التفاصيل حتى ترانى قبلت أو رفضت كل ما اردته استشارة اللجنة المركزية للحزب فالصفقة محيرة أيضا؟

–: لا حاجة لى بمعرفة التفاصيل يكفى ان أمين التنظيم عز يقيم تحالفا معك من الباطن (مقاول ومعتاد على ذلك)

– مندهشا: ضد من؟

– لا يهمك ضد من المهم أنه يدفع لك جزءا من رصيده الشعبى لتأخذ عددا من المقاعد التى للاخوانيين وسوف يساعدك على ذلك بجماهيريته،

- مستغربا قناعاته: نعم وهل له رصيد جماهيرى حقا ليدفع لى

- أحضر المترودوتيل القهوة وانتظر أوامرنا وحين انصرف عدت أقول: تعلم معاليك اننى غير رئيس الحزب السابق انتخبت ولم انتزع القيادة. أسرع يقول: لا تنزه نفسك فمعلوماتنا كافية عنك وهذا العرض لأنك غيره فكر فى القبول فالنفوذ لا يأتى بل هو ثمرة نضال ونجاة من السكتة السياسية ألا ترى كم خسرتم طوال العشرين سنة الماضية.

. كان الغداء يأخذ طريقه للمائدة توقف الكلام وانطلق فى رأسى طابور طويل من المعطيات، أجاد التلاعب بي، يعلم بكل تأكيد تفاصيل الاتفاق وهو ضالع فيه بشكل متكامل، لم يثر الموضوع من جديد احترم رغبته فى الوقوف عند هذا الحد والكرة فى شباكي: رفع رأسه بغتة: عيناك تفضح ما يدور فى سريرتك، الحافز غير واضح والمقابل شفهى ربما لا ينفذ عند صناديق الاقتراع. لم أفوت الفرصة هتفت: هو ذاك والله أنت تأخذها من طرف لساني. ضحك: هذه مراهقة سياسية لا تليق منك، لا أحد يحمل رسالة كهذه للعبث معك انه اتجاه مؤكد وأنت فارسه المختار؟

-: تخيفنى درجة تأكدك، انه ليس اسلوبك الحذر المحتاط.

رد: كان ذلك فى الماضى أما الان الأمر واضح للأعمي، أقبل هذه نصيحة سياسى عجوز عاصر كل الراحلين ويعرف الفرق

بينهم تماما! كان محقا فقد كان اشتراكيا وانفتاحيا وبرجماتيا وانغلاقيا لو لزم الأمر، إلا أنه تركنى حائرا أحاول الآن فهم إلى أين تلقى بى المتاهة، جاء ميعاد الاجتماع، الآن على الإقرار إنه عرض لا يرفض، جاء فى توقيت نموذجى والمخاطرة برفضه من واحد أو اثنين من الشماليل فى المجلس واردة ثم يتسرب الخبر وتفشل الصفقة، إنه على حق هذه المرة أيضا، السؤال الآن، هل أرد بعد الاجتماع فيظهر الأمر بالكذب على أننى أخذت موافقة سرية مع التزام الصمت التام أم قبله فأظهر كمن خضعت لطلبهم بل لإرغامهم إياى بالانفراد بالقرار، ترجلت من سيارتى الحمراء أمام الباب الخلفى وتسللت ليفاجأ الجميع بوجودى وسطهم بينما تلتقط أذناى كلمات من هنا وهمسات من هناك مضى المؤتمرون يناقشون الأمور العاجلة بسرعة وسط جو صارم متحفز، هناك من يتوقع أن أطرح أمر التفاهمات مع حكومة الوطنى اذ كلما تحدثت أشرأبت لى الاعناق وانصتت لى الآذان وجحظت العيون، كدت ابوح بالأمر أكثر من مرة وأخذ التصويت عليه جبنت على المخاطرة، اعاد سكرتير الجلسة تلاوة ما اتفقنا عليه من قرارات تعمد ان يذكر كلمة اننا متفقون مع الحكومة (أكثر من مرة) فى عدد من القضايا، كوتة المرأة أو تقسيم الدوائر. الخ، علق احدهم هازئا وبنبرة مستفزة: يعنى نحن فى مرحلة المهادنة والمصالح اللى بتتصالح؟ ودون وعى هززت رأسى هزات متوالية، انتهى الاجتماع وذهبت لمكتبى يتبعنى

عدد قليل من الانصار وقد انفض الجمع بصورة غير طبيعية، فى لحظة غيرت اتجاهى واخترقت الانصار، عائدا لصالة الاجتماعات الكبرى وكأنى نسيت بالقاعة شيئا لادخل الحمام الملحق بها، كان بالقرب من المبولة يتحدث من هاتفه بصوت واضح هادىء النبرات: لا لم يعرض الأمر على الهيئة التنفيذية؟ موضوعات عامة وشائكة ولم يأخذ أى تصويت، الشيء الوحيد الذى أبدى فيه موافقة غير مباشرة، نعم مازلنا فى مرحلة الغموض، انسحبت بخفة قط، الكلام واضح انهم ينتظرون الرد المباشر، الآن سوف انفرد بالقرار كما كانوا يريدون، اقنعت نفسى فالمطلوب منى بشكل شخصى وليس من الحزب، أى مطالب لا تعديل مواقف ولا تعاون، مازلنا حزب معارضة، الواضح اننى فى مأزق القرار الأصعب، مد الليل ارجله الخلفية لتجثم على صدري، سوف لن ينتظروا للنهاية، هناك تربيطات تتم سواء رفضت أو قبلت والواقع يفرض سلوكه عليَّ، أمسكت بالهاتف وحين بدت نبرات الطرف الآخر تلوت: نعم نعم أقبل نحن نقبل ذلك، نعم بالطبع، استشرت المقربين منى فى المجلس، نعم هناك عدة وعود نريد أن نتكئ عليها، نعم شفهي، كلمتكم، عندى ميثاق تحالف مقدس، نتقابل أين ومتى. أودعت السماعة ويداى مبللتان بالعرق والخجل، كان شعورى ينتفض من الاحساس بأننى لم أجد المناورة، نعم ها قد انزاح الكابوس الأسود، أمازالت لدينا فرصة أخري؟

والتنشين عليها جالسة..اكتسبت اسماً جديداً الآن.. ينتظران يطلقه عليها لو اقتضى الأمر.. ذات الكرسي..جاء دوره فى الدخول.. أسمعت كلماته ذات رئيس التحرير..لاحظ كم هو منتفخ الهيئة فى بذلة فاتحة متشبث بكرسيه خلف مكتب بيضاوي..لم يترك له فرصة فى كلام..اندفع كمدفع رشاش وكأنه يسمع محفوظات ..الكراسى ذهبت للتجديد فى شركة رياضكو لو احببت ان تتأكد وسوف يحضرون كراسى جديدة تماما للمحررين ورؤساء الأقسام وخلافه سعر الواحد أربعة آلاف جنيه لا تصيبك بالتهاب مفاصل ولا التواء ولاتشعرك بآلام الظهر والرقبة..وتحول إلى وضع أقل تحفزاً وهو يقول: ـ مصلحة الزملاء مهمة جداً لدى والكراسى القديمة ستعود مجددة وسوف توزع على الخدمات والأمن..

قاطعه : كيف نؤدى وظائفنا..كيف نكتب اذن؟

-: الحل بسيط ..نحن اخذنا كراسى المكتب فقط يمكن إن تجلس على الفوتيه والكنبة وتكتب على "ترابيزة تقديم الشاى والقهوة" حتى إنها من باب التجديد وكل ذلك مؤقت وستجد زملاء لك وكتابا ومبدعين بيكتبوا كذلك، كانت إجاباته حاضرة.. أكثر مما ينبغى.. فى أحوال كهذه يصح أن تبدأ بقول نأسف على إزعاجكم ولكن هو يفرغ كل الحلول البديلة.. بجدله الذى تمرس عليه فى الفضائيات..أصابه بصداع شديد.. خرج من مكتبه وقد أدارت الكلمات رأسه كما اللكمات فى مصارعة المحترفين.. وتدوى.. دى

صهوة القمة التالية

ظل يجرى من غرفة لأخري..دخل معظم مكاتب المؤسسة واصداراتها واقسام النشر والتحرير..كيف يحدث هذا.. كيف لايخبرنا احد..احد العارفين الواصلين أحتج ومن ثم تمالك لسانه واعصابه حين المح احدهم بأنه قرار رئيس التحرير الجديد..ابدال الكراسى الجديدة بالقديمة ..ولكن أين هى الجديدة..مباشرة توجه تلقاء مكتب رئيس التحرير..تجمع الصحفيون والإداريون فمنعوه من الدخول فوراً.. هذا عمران من الديسك ومحمود حسين الرسام..حتى اللامبالى عاطف وجهه ينطق بالغضب أحتاج أن يأخذ رقماً فى دور..لاحظ بسرعة أن السكرتيرة تجلس مطمئنة على كرسى مكتبها..ملتصقة به..لا تفارقه حتى إنها تتحرك به وتدور..وقف أمامها مباشرة وقد استبد به الغضب..صاح لافتاً نظر الزملاء..أنت جالسة على كرسى مكتب أين كراسينا كان صوته جهورياً صارخا، جعلها تنتفض واقفة.. اهدأ يا أستاذ عبد السلام..اهدأ كرسى أتاخد مع كل كراسى المؤسسة هذا هو الكرسى الجديد..عينة وسنتسلم باقى الكراسى، فعليه الوضع مؤقت..لم تفلح كلماتها فى التبريد..قرر أنه لا فائدة من جعلها هدفاً

صفقة لصالح المؤسسة وتهدف لراحة العاملين بها مينفعش تتم على مراحل حيقولوا رئيس التحرير الجديد عنده خيار وفاقوس..دى عينات حنستلم عليها عندى وعند السكرتيرة ورئيس مجلس الإدارة وللتجربة ومعرفة العيوب مش ميزة ولاحاجة..لقد بدأت عجلة التغييرات..كان يحس ذلك ..بالأمس فى حفة وداع رئيس التحرير السابق.. كرم بمبالغة واحتراز وإشعات قوية أن بانتظاره وثبة أكبر.. ربما رئاسة نادى الزمالك أو نقيباً فى الدوره القادمة.. فالرجل كان مرضيا عن إدارته وحاشيته وسلوكه.. عطاء الله الوهاب للنعم جدد له أكثر من مره والآن.. هو مشاكس حقيقى وأكثر من ند للشاب الطموح الواثق الواثب على كرسيه..هل نلجأ إليه.. ماذا سنقول.. يسرع العملية شويه.. مش منطق الآخر ربما تنقصه الخبرة فى اشياء كثيرة الا انه ممتاز فى الثرثرة والحجج تنبه أن إصبع زميلته هويدا حماد يكاد يخترق نظارته الطبية.. إحذر أنك تفكر بصوت مسموع.. صوتك يدوى فى الممرات.. تركها وابتعد سريعاً، فى غرفته جرب أن يكتب واقفا.. ينظم موضوعات النشر فى الصفحة.. جالساً على حافة المكتب وقد لامست أقدامه الأرض من تحته..لم يعد على أرض صلبة.. جالسا ونائما أو واقفاً.. جرب الفوتيه وطاولة الشاي.. جرب الجلوس ممدداً على الكنبه وقد رفع الحذاء عالياً يطاول هام المكتب وفى وجه من يدخل عليه..لم يعد هذا الوضع مهيناً لأحد الرؤساء فالضرورة تحميه، توسع فى ابتكار أوضاع الكتابة.. كذلك هم توسعوا فى الأذن

للصحفيين بالتغيب عن المؤسسة فى أعمال خارجية.. حوارات ولقاءات المهم تسليم المقال للنشر فى موعد أقصاه.. أصبحوا يتبادلون النوادر وبعضهم أعاد قراءة ملاعيب الولد الشقى للسعدنى والآخرون اعتصموا فى مكتب رئيس التحرير فقد مضى شهر وزيادة ولم ينفضوا من حوله إلا بعد أن أقسم بالمصحف على عينيه إنه أسبوع وكل شىء سيتم.. انفجر خارج الغرفة ومن له بأسبوع آخر.. ينبغى ان يوضع حل حالاً..يجب الضغط عليه..هناك شىء غير طبيعى فى قصة التجديد هذه.. هذا الرجل لديه عقدة من كراسى الآخرين.. كرسى المكتب..يمثل السلطة التى لا يريد أن ينازعه أحد أمرها.. خاصة إنه صغير على كرسى رئيس التحرير فى مؤسسة عريقة مثل هرم مؤسستنا..ضحك الحضور..أخذوا يرددون عقدة الكرسي.. تصلح إشاعة جيدة للحرب.. عقدة نفسية..

انتهز فرصة دخول بعض الصحفيين ونشرها بينهم.. زادت فى الأيام التالية قوة.. دخلت الصحفية فاطمة الحاج على رئيس التحرير وبدلاً من أن تتلقى توبيخا عن حديث رئيس الوزراء الذى لم تسلمه بعد سمعوا سيلا من التوسلات لكى تكتب الموضوع.. أصرت إنها نفسها غير مهيأة وأن الكتابة والتفريغ شيء معقد بلا كرسى مكتب.. أزاحوا لها السكرتيرة ذات الكرسى من مكتبها.. أمضت طوال النهار سعيدة بالكرسى الجديد.. تتنقل به جيئة وذهابا لتكتب كلمة أو لتفرغ سؤالا.. حتى أتت على المقال الجملى كله.. وجرى به مخصوص إلى المطبعة والجمع.. تلقت التهانى من

الزملاء ليس على المقال الرائع لرئيس الوزراء الذى كانت تنتظره المطابع بل على حبسة دم رئيس التحرير وسكرتيرته ذات الكرسي.. التى أتاها انزلاق غضروفى من الجلوس مقرفصة تؤدى عملها..الأرقام تقول.. إن نشاط الصحفيين فى المؤسسة زاد بنسبة كبيرة هذا الشهر.. قالها رئيس التحرير فى اجتماع المحررين ولما لم يعلق أحد.. الواقع أن نوعية الموضوعات أيضا كانت ممتازة.. ورب ضارة نافعة.. قاطعوه بصوت حاد غاضب.. تقصد تقول إن مهزلة الكراسى الجديدة اللى أنت السبب فيها هى اللى خلقت موضوعات ممتازة.. بكره المانشت الرئيسى فى كل الصحف قومية ومعارضة حيحكوا ما تم فى هذا الاجتماع.. لقد نهضوا وتحلقوا فى شكل بيضاوى يناسب طاولة الاجتماعات.. كان هناك جلبة فى أروقة المؤسسة أحدهم دخل فجأة وهو يصرخ من الفرح.. خلاص يا جماعة الكراسى الجديدة وصلت.. اللجنة بتسلمها حالاً.. انطلقوا من الاجتماع. هناك حدث ينبغى تغطيته كان المخزن الكبير يشغل كامل مساحة المؤسسة تحت الأرض.. مساحة حرة مفتوحة أعمدتها ترفع المبنى وتستوعب الكثير من .. الكراسي.. استوعب المخزن كل من دخله.. المؤسسة شاغرة الآن.. اين هم.. مازالوا يتفقدون الكراسى الجديدة ويجربونها إضافة للإداريات من إمضاء وخلافه.. نزل إلى المخزن.. كان الباب مغلقا.. فتحه بكل حرص.. كان يعلم كم هو المخزن ممتلء عن آخره لا يريد أن يراه أحد يتلصص عليهم من فوق، أنقذه ذلك البشير بقدوم الكراسى سوف

يعتبره مخلصا ويكافئه.. من فتحة الباب رأى مظاهر الابتهاج كان الجميع يمتطى صهوة الكراسي.. يتحركون بها.. يشرح لهم الخبراء كيف تميله أو تقيمه.. انسحب فى هدوء شديد.. وبتثاقل صعد السلم الآن لا يمكنه استخدام الأسانسير.. الآن هناك كراسى تطاول كرسيه.. وربما أكثر..؟؟؟؟

على باب رحمتك

تجاوزت النطاق الضيق للانطلاق، أصبح الرصيف رحيباً حين لم أشعر بمن حولى وكأن عصفوراً فك أسره بغتة لم يدر ماحدث وماعساه فاعلاً بها، تمهلت فى حما سور مدرسة لم أعد قادراً على المضي، هل تعرف هذه الحالة، يسيطر عليك ضجرك فلا تجد جديدا تفعله، تنام، تستيقظ مرة أخرى، تغتسل مرة أخرى، شعور سيزيف وهو يدفع الصخرة للأعلى كل يوم ويا له من عقاب، حتى صادفت الصوت. لو سمعته ستشعر أنك تعود القهقرى هذا صوت شارد رجع صدا محفور فى ذاكرة منسية منذ عقود، لاشك أنه ينتمى لذوقنا، إنما يأتى وكأنه أنة موجات راديو خشبى قديم، صوته جميل للغاية، ليس قويا ولكنه حزين، جماله يكمن فى حزنه وانكسارات الضعف فيه، يذكرك بأشجان الماضى الجميلة وقصص الحب المؤلمة، آت من سحب القرار اويذكرنى بصوت جدى وهو على فراش الموت يحيى تحيته الأخيرة! تأملته فى وقفته المستكينة الثابتة، جسيم التكوين، شبه الحافى ووجهه المتغضن ذو السمات السمراء، ذقن أبيض طويل مغبر، ملابس رثة يستند على عصا برأس الشومة الاسيوطي. يمد اليد للأمام فيضعون له فيها بقايا

قليلة وعيناه بل ليس هناك عينان. هما تجويفان أسودان يبعثان قشعريرة فى جسدك، كان بطيئا فى سيره، لكننى سرت خلفه طويلاً، أرقب واستمع لصوته العفى وأنا لا أشعر بمن حولي، حينها انتصف الليل، قل عدد المارة وقل تدفق النقود فى يده، فتوقف فجأة عن الغناء. اقتربت منه، وضعت بيده عشرة جنيهات، ثم ملت على أذنه هامساً: هذه عشرة جنيهات كاملة فلا تتوقف عن الغناء. ابتسم واطبق يده بشده وقال: أعطنى عشرين وسأغنى لك حتى الصباح" قلت له متصنعاً الغضب: "لاحاجة لى بجشع مثلك رد لى النقود" وضع النقود بجيبه بسرعة وقال: ولكن ما الذى يضمن لى أنها حقا عشرة. ها ربما كانت جنيهاً أو حتى نصفا قلت له: أترانى أغشك لتغنى الموال العبيط الذى تقوله، كل ما أريده الاتتوقف" اغتصب ابتسامة حزينة ثم قال: أنا لا أغنى بالأمر سأغنى لك إذا جُرعت على الجلوس معى على القهوة وطلبت لى الشاى أو أى شىء آخر".

قلت ضاحكا باستمتاع: وأنا جريء على ذلك أخذت يده وسرنا معا فى الطريق لم ادر الاتجاه ولاكيف أخذته إلى احد المقاهي، وما إن جلسنا حتى هم الساقى بطردة تدخلت: هو معي، أنا من سيحاسب على أى شيء قال له الساقى فى سأم وقرف ظاهر: "اطلب واتمنى ياسيدي"؟

ابتسم وقال:"شيشة تفاح وقهوة تركى مانو وشوف الباشا يشرب إيه؟ أسرعت أقول: شاى.. أتى الساقى بالطلبات بسرعة

عجيبة حتى ظننت إننا الوحيدان بالقهوة، بعد لحظات صمت أخذ يدندن بصوت واثق عريض: على باب رحمتك يا رب، قاعد ومستنى ساعة قبول ورضا وتزيل الهموم عنى من باب رحمتك يارب، باطلب وفاء الدين من اللى ياما وسعتهم، بالقلب قبل العين أذانى يا رب القريب، ومسلمتش من القاصى وغدر بعمرى الحبيب واظنه مات عاصى صمت ثم قال لي: "سجلت اللى قلته".

قلت مستغربا سؤاله: لا ولماذا أسجل؟.

قال لي: (عشان الماجستير بتاعك ولا الدكتوراه مش برضه أنت من بتوع الفلكلور الشعبى ولا أنت ملحن من بتوع اليومين دول بتدور على تيمه ضايعة، زادت الدهشة لدى والفضول، آه يا شيخ ماذا تظن أنك لازلت مطمعاً لأحد، إنك لم تفقد قيمة تدعيها لنفسك بين الأحياء، أولازال يداعبك الأمل فى شى من الحياة وانت بهذه الحالة ربما. قلت متأثرا بما أنصرف له قلبي: أو تسمح لى بتسجيل الكلمات والألحان فى جلستنا هذه بل وتقول للصبح كما وعدتني؟"

قال لي: بالطبع بل وكل يوم لو أنك رايت ذلك فيه إفادة قلت له: من أين تعلمت تلك الأصوات.

مال على وقال همساً: "لم تفترض إنى ولدت ضريراً شحاذاً بلا عافية" بالرغم منى ضحكت من طريقة نطقة المتلونة، أخرجت الموبايل وأدرت التسجيل وكأنه أحس فاعتدل واستقر على الكرسى وبقوة انطلق:

أصلى بجدرم الصعيد، ويمكن كمان نوبى

أنا ما خبرش ان كان اكيد

وده يفرق ايه فى توبي،

أحلامى فوق الوصف وبتبتدى من هناك لبعيد،

إنما والدنيا حوجانا لمد الأيد،

واللقمة والهدمة مهمازولجام ونخسهم شديد

يسوى ضهرى وش وقفا سخمة العديد

اش يعمل العمر المديد،

وكل السنين والايام وكام الف الف عيد،

وحقى فى الضنك بيزيد

وحقى م الحياة مهضوم والعيشة زى الشريد،

هج المهندس والطبيب واللى ضاع فى البحر غايب أو ياعالم مات شهيد،

الظلم طخ عيار نافد على كلمتى وبسمتى وضنا عشر تلاف بلد،

والسوق بلع الصبايا والعيال الخضر اللى اتفطم واللى اتولد،

مليون غلطة ع الرصيف حتى الرغيف بقى بالجلد،

والناس فى الدوخة ومش حاسين نهش الجسد،

زحف الخراب سكاكين حديد وانفار ومعاول هدد،

بصوا على اللى جاى يا مغيبين نمل وجراد،

جالبين وراهم عدة وعتيد ومدد،

وتزيد الحروق والشقوق اتسدى بقى اتسدى يا آهات من غير عدد

وآه يا بلد آه يابلد؟

وأنا أجمع شتات الكلام من العيون والاوجه التى شدها حضوره الطاغى على مسرح المقهى أسكته: يكفي. استرح قليلاً انفعالك أفلت من أسر العقل يحسن أن نتناول شيئا آخر بل ربما نأكل يا" ...أومأ برأسه وسمعت اصواتا خفيضة من الجالسين: اتركه يقول أكثر..صوته مثل الرعد مؤثر أعد تلك التى شهق فيها. كيف قال تلك الجميلة، انظروا إليه. هل حقاً هو شاعر. أظنه ملحن ألا ترى كيف يؤدى الموال، لمحت شبح ابتسامات مع ما انعقد من حاجبيه وأظنه كان يصغى السمع لما يدور، كان هناك المزيد مما قاله فى تلك الليلة، انصرف رواد المقهى ببطء على آذان الفجر، كنت قد سجلت عدة ساعات أشياء لا أعرف بالضبط ما نفعها بالنسبة لي، نفحتُه ما فى حافظتى بعد سداد الطلبات، مع وعد بأن أحضر المزيد من الوقت معى والنقود أنشدنى شهراً تاريخ من لا تاريخ لهم

صوراً ومواقف بالنغمات عاندت الأوزان كثيراً وصالحتها أو صافحتها. وقطرت الإ بحر وأغرقتها، أهى الفطرة ام التمكن من مخالفة ذات الاصل ، هكذا أخبرنى الوقت الاحيلة وراء الصوت والشدو الموهوب إنه إنسان أو أن القصة نبض الشخص بطلا كان أو كذابا أو إنها لا قصة على الإطلاق.

حتى أنت تموت

اقتربت بحذر، كانت أعمدة من المياه ترتفع داخل الأسطوانة الزجاجية، يتجمع ضباب رمادى ثم يأخذ طريقه فى لى شفاف لم يعنها الجالس فى استرخاء تام، يعالج بفمه قطعة البلاستيك ويفتح شفتيه وكأنه يتحدث والكلمات دخان، عطلت مؤقتاً الرائحة الذكية حواس الشم والاستشعار عن بعد، ما أثارها فعلا حركة المياه الصاعدة التى لا تنتهي، إلى لا شيء، البلورة الصافية تصنع إشكالاً خرافية، تدركها بعين ألفت الأشخاص وقطع الطعام والمواد الحرة الحركة فى الهواء، جاء من خلف الضباب من كمون وإظلام خفيف إلى الدائرة التى صنعتها حول مكان اللهب وأعمدة الدخان ورائحته التى تنتشر كالبخور، أضاف عدة جمرات متقدة، تنبهت أن حامل الجمرات ليس فى يد "طه" يتحرك وحده مختفياً وراء الضباب، من يمسك مقبضه، لحظات وتشكلت فى الأجواء أوجه جديدة، مباشرة أمام أعين الجميع، لحظات ونفث الشيشة بقوة مصحوبة بزفير من الأعماق، راحت تتابع أشكالا جديدة تتكون وتتكور، تتحاور بعصبية، يغطى عليها صوت التلفاز وهو ينقل عبر بث مباشر من مناطق بعيدة، يتشكلون الأن أمامها، أمامهم جميعاً

جواد تتقاذفه الرياح بعد أن مزقت الفارس إلى قطع، مازال الجسد متعلقا بذيل الحصان، يرفض أن يزوي، الرفض تحد يكسب من يفعله شموخ القوة، تيار الهواء البارد يعيد تشكيل الأوضاع كانت تشعر بالجوع، لا شيء سوف يشغلها عن القوت الضرورى للحياة والاستمرار، همت بالابتعاد عن كل هذا، تحركت فعلاً فى اتجاه المنطقة الرمادية حيث تختفى كل الكائنات الجزافية التى تصدر من تلك المعوجة الزجاجية الشفافة والتى برغم شفافيتها تخرج كل تلك الصور، سرعان ما تقهقرت إلى الوراء فقد كان "رمضان ضنا" قد جاء يحمل صينية تفوح منها مناقيش وفطائر "أبوالدهب" ويضعها مباشرة أمام النرجيلة على الطاولة فى متناول يده اليسرى حيث اليمنى تمسك بالخرطوم، لم يشأ أن يتناول الطعام وقد امسكت به شرائط الدخان، تعجبت ان فمه يخرج النار طوفانا فلم لا يأكل الآن؟، وكأنه فهم انتظارها، نظراتها جلوسها فى مقابل نار الولعة واللهب وفطير جدو أبوالدهب ألقى قطعة لا بأس بها، غيرت رأيها فى الرحيل خلف لقمة العيش، فى عجالة التهمت ما ألقى، وكأنه أحس بلهفتها على الفتات بادر بأخرى وثالثة، جذبت الرائحة فطيطه صغيرة من العائلة المشمشية، سمحت لها أمها بأن تنزل إلى الكافية لتجرب الاعتماد على الذات، طردتها من المكان بخربشة فى الوجه، احتفظت بمسافة تقيها الغضب دارت محدثة صوتا خفيضا حول نار الشيشة، سرعان ما استجاب وألقمها قطعة بعد قطعة، كانت الخيالات قد تحولت إلى صفوف متراصة من المتقاتلين، اشتعلت

على أثره بعض الحرائق المحدودة، طرقعة نار الفحم وشرارات وقنابل دخان وهراوات وأصوات شتائم ومناورات، عدت أكثر من عشرة يسقطون، دماء نازفة فى الطرقات، اخلاء سريع بلا أثر وكأن هناك قطة خفية تغيبهم فى بطنها كما تفعل مع اللقيمات، كادت تشبع، يمكن أن تنصرف فى أى وقت، مع قدوم أرجل نحوها تعرفها جيدا، أرجل الحاج محمد مدير الكافيه، استقر إلى كرسى مجاور، كانت قطع الطعام قد توقفت منذ لحظات، سمعت صوت الحاج محمد يستفسر: أنت إيه رأيك يا حاج جمال فى اللى بيجري؟ صوت قلق، مضطرب. جمال. جمال! يسرع ضنا إلى المكان تسرع عدة ارجل إلى المكان، صوت يسأل: انت حطيت ايه فى الأكل، هاتولى حالاً ابوالدهب. دا مات، والمصحف ما فيه حاجة فى الأكل، صوت ضنا يعلو: هو ما أكلش حاجة كان بيرميها للقطة وهى عايشه أهي، صوت طه: أنا غيرت الولعة وكان عادي؟ لا قوة إلا بالله، ابتعدت الأرجل فى سرعة واضطراب ظاهر وقف عدد من العمال على مسافة يحرسون الجثمان الجالس على الكرسي، كان يحب جلسته تلك المنعزلة أمام التلفاز متابعاً نشرات الأخبار مقلباً القنوات والصحف اليومية، كان يحب كل الناس، العمال حتى قطط الموائد.؟

خاطرت بالاقتراب من مائدته، هل حقا مات، كان لا يزال ممسكاً باللى بين يديه وطرفه فى فمه، جلسة عادية تماماً، اليد الأخرى سقطت بعيداً عن الأطباق قفزت إلى الطاولة، تأملته ومدت أنفها إليه

بحذر تراجعت قليلاً، كان الطعام قد برد تماما، سوف يلقونه فى المهملات، تراجعت عن فكرة الرحيل، فى النهاية كان يريد أن أتم وجبتي، تركت الأطباق وقد مسحتها تماماً.

حرب توتة الخاصة

كنت قد استيقظت فزعة ومدفعية السفن البرتغالية تقصف منزلنا، هرولت إلى المطبخ حيث كانت أختى حنان تعد طعام الإفطار وصوت القذيفة يطن فى رأسى وأنا أسير نصف نائمة، متصورة أننى مصابة وأن الدم لوث بيجامة النوم لأجد حنان تبتسم مشجعة وكأنى لا أنزف أمامها وتبادرنى بقولها ـ: ها الأمتحان الساعة كام ؟؟ أدركت وقتها أننى أحلم وأن التاريخ قد دخل فى بعضه، مع كثرة المذاكرة والقراءة للحروب، تصور عقلى الباطن، قصف السفن للشواطئ العربية فى كلوه وممبسه وباقى ساحل الصومال حتى وصل لبيتنا فى المعادي! وأنا أتناول البيض والقشطة، راجعت ما سمح به الوقت، ووجدتنى أفر ألف ومائة عام بالتمام والكمال ولا أدرى لماذا كان ذهنى منشغل تماماً وقد ارتسم أمامه "طبجية المدافع البرتغالية "وهم يقومون بتعمير مدافع الأسطول لقصف الشواطئ والدخان يتصاعد من فهواتها ليغطى الوجوه ووجدتنى أصرخ رائحة البارود، رائحة الموت. فى دخله حنان وهى تقول: ينهار حرقتى الجنز بتاعك.. حتروحى إزاى دلوقتى. وفعلاً كان الشياط قد عبئ المكان وانثقب البنطلون فى النصف بشكل لا يمكن أن أدعى معه إنه موضة، ألقيته جانباً لأخذ غيره أسود، حتى لو

أحترق "ميبنش". إلا أن حنان انتزعته انتزاعاً وهى تقول: خلصى نفسك أنتى وإلبسى اللى فوق، على بال ما أكوى اللى تحت .

❖ ❖ ❖

كانت اللجنة كخلية نحل، تطن بأزير الأصوات وكأنها ترانيم الصلوات أو الدعوات فى لغة غير مفهومة مختلطة الرطانة، الواضح منها فقط صياح المراقبين بصوت عالي: بس .. بس مش حنوزع ورق إلا لما الكل يخرس ويتهد، أنتو عيال، أنتو كبار، بس ؟ ومع تنامى الأصوات أطل دوى المدفع فى رأسى وقد تضاعف حجم الصوت حتى ابتلع فى داخله كل الأصوات وفجأة أصبحت لا أسمع شيئاً وحل صمت ترقب مفاجئ محل الصخب وتقارع الأدراج والطاولات وتقدم الكراسى وتأخرها وفى لحظة وجدت أمامى المدافع تتحرك للمواقع الأمامية والرجال قد انكبوا على صب البارود وشحن المدافع بالدانات ومع توالى وتتابع انطلاقات المدافع، بدون وعى اشتركت يدى بالقلم ترسم على الأسطر الحروف وتسجل الأحداث، أوامر بلغة السؤال ألغاز وطلاسم وضح أجب، أروى.. ما بين دون سباستيان وهو على صهوة جواده يقسم فرسانه الإيطاليين والألمان والبرتغاليين على شكل حربة ضد المغاربة عرب وأمازيغ يقاتل محصوراً بين الوديان ومخازن المياه والمنصور الذهبى وقد جمع قواته على شكل هلال، يرفع مدافعه ويواجه جيش البرتغال، بالنار والناس والحديد، كان الطلبة قد

شرعوا مع أقلامهم ومساطرهم يحركونها ذات اليمين والشمال حركة السيوف والحراب والبنادق ومع دوران الشمس أمتلأت أرض اللجنة بأمواج من البشر المتلاطم والمتلاحم وحلت صفوف المقاتلين محل صفوف الكراسى ببنادقهم وخيولهم وصدامات الكتل الحربية والتراب الثائر يخبئ الضوء والحر القاتل يصرع الجنود صرع الرصاص والنار والمياه تندفع لتحصرهم وتحصدهم فى الوادى الضيق بين الجبال ويتساقط الفرسان ويموت الملك سباستيان غريقاً فى ماء النهر وتدوى أصوات المدافع معلنة انتهاء القتال ويصيح المراقب : انتهى الوقت، انتهى الوقت، سلم ورقة الإجابة، مع هرولة المراقبين وتنازع الطلبة الأوراق معهم تنازع المنتصر والمغلوب.

أفقت على صوت زهور- : توتة، عملتى أيه .. حليتى أيه.

-: أسكتى ملحقتش أراجع حاجة . -: تراجعى أيه دا أنتى مبطلتيش كتابة ولو لثانية واحدة ومليتى الورقة وش وظهر . -: أنا؟؟ اللى هو أنا يعنى . -:أيوه يا توتة دا المراقب التخين كان بيجى جنبك ويقرأ من ورقتك وبعدين يشاور عليكى ويقول أهوه، كده العيال المذاكرة.

-: مسمعتوش بيقول كده خالص.

-: أنتى مكنتيش واخدة بالك ولا بتخزى العين ؟!

سكت، الواقع أننى لم أعرف ماذا أقول، كانت أصوات المدافع لا

تزال تزأر فى رأسى وكنت ألهث كأننى أجرى حول الأستاد ومع محاولات التذكر ، عرفت أننى ربما أجبت جيداً فى هذه المادة ولم يكن من الممكن تغير شيءً الآن.

❖ ❖ ❖

سنحت لى فرصة الحديث مع الدكتور/ عبد الله بعد ظهور النتيجة بأكثر من أسبوعين قال لي: أنتى الطالبة التى أخذت فى مادتي(عشرين على عشرين) "وكنت أعلم ذلك بالطبع" غير أنه استطرد فقال : لابد أن تكملى للماجستير فقد أعجبنى سردك لمعركة وادى المخازن ... و"حتى اللحظة" لم أعرف كيف كنت هناك فى قلب المعركة !! غير أننى ومع انجلاء غبارها عن نصر كبير كنتُ أيضاً من الرابحين.

الثورجية والصحبجية .

مر من دون ميعاد فستبقيناه للعشاء، يختصر المراحل والازمنة يواصل صعودة حتى عتبة النهار، مطلاً على مشهد حديث تماما ؛لم يكن يظهر فى اعماق ليلة البارحة؟البارحة ...!! حدث ما عكر فجأة اجواء الامسية ، حول مائدة عامرة، جلوس نتناوب تبادل الاطباق العريضة، لم يكن قد حان بعد وقت طقوس تحرك الشفاة، قصد الصدر ورفع عقيرته الحادة جالبا الانتباه لما سيقول، حيا سيدة الدار واستماحها عذرا فى خطاب قصير، صد النفوس واصدرها، أرجل وارتجل وترك غصة فى الحلق والأذن، كيف لكم ان تهنؤا، عد النواقص والنوازل والحدود والحشود وتركنا وقد عزا المسرات ترف وأوردنا موارد القرف، غشيتنا كآبة وتلونت الابتسامات والنظرات، لم أبه له فقد كنت جائعاً عن إيقاعه الساحر فى الخطابة، وسرعان ما صلصلت ملعقتى فى الاطباق فكانت ضربة البداية التى اتبعها رنات وقراعات، شاركنا بضبع لقيمات وانسل إلى الشرفة حيث وافته القهوة والجرائد ؟.

وعت شهر زاد الحقيقة، مالت رأسها وبسرعة لدغة عقرب أسرت إليَّ يراودك حلم، تنتبه فإذا جزء منه لا يزال يهمس فى

عقلك، يتذكرك ويذكر به، زفير من الأعماق وان خلت الرؤية من الكوابيس، صدى الكلمات لا يزال رنينة فى الذاكرة، خرج مشرداً، حافى القدمين من حرب ضروس كل أولاده فقدهم الواحد تلوا الاخر، سار قاطعا الأرض من حلب حتى الحدود التركية، يقتات العشب والشجر وصناديق القمامة ، ولت أيام حتى وصل الأسكندرية عروس المتوسط، لدينا فى الشام شبيهتها الأسكندرونة حتى خان الخليلى القاهرى يوجد شبيهة فى دمشق، إنى أمرؤ هائم، أكاد أكون صائم الدهر، قلت مسرية عنه : أتعاطف مع ما أصابك فأنا أم ، أيضا أعرف حرقة الفقد والقلق المخيف حين التعرض للخطر لكننا نراكم بعين الناقد، حتى وإن كانت أراضينا تشهد نفس الثورة ؟ عزا ذلك إلى أن أرحام العرب تقطعت وإن الطعنات نالت الحشا والضلوع، قام قاصدًا الباب، تولى إلى الظل فى ذاكرتى، فقد كانت الأولاد يستعرضون مشاكلهم اليومية وقدراتهم على إزعاجى حقا بمنغصات التوافة من الأمور، تحول الوقت إلى الضحى سريعا حين سمعوا لأول مرة عن الحملة نعم اشتركت فما يضيركم من أمرها دعونا نرى من يرى راينا فى ذلك الأمر ، هذا العبث لا بد أن يتوقف، بيتك وأولادك أولى بوقتك من تلك الحملة، عينات قليت على السنة وفى العيون والتصرفات، بواكير حالة التمرد التى أعيشها بدأت فى التشكل فى حواسى؛ لا إنه الخوف أن يشابه مصيرى ذلك الرجل السورى القادم من الشام .!!!

صهل الجواد بصوت نافر، قفز الحاجز إلى المحيط ، روعة الغضب والقفزة المثيرة أوقفتنى مشدودا حائرا، هل اجرى ورائة محاولا الامساك بطرف اللجام الذى يتدلى ورائة، ام اتركة حتى يهدأ، الوقت يقترب من الاصيل والنادى غافل عن ان جوادا انطلق من عقالة واصوات الطرقات والكلمات الارشادية للخيالة تملا أجواز الفضاء، وحدى ظللت أتابع كيف انطلق بلا هوادة أو هدى، ولاء الثورة هادية ومرشده، كان قد تخطى الحواجز بلا اى فارس يمتطية أو يواجهه، رغم ذلك اجاد ، اقترب رجل عسكرى فى ملابس مموهة تماما، نظارتة السوداء تحجب الشمس وتخفى تفاصيل الوجة، تابع باهتمام ، هل أدرك أن الفرس بلا قائد، وحدى ظللت أتابع وأنا أظن أنى مدرك لجميع الحقائق ، يبحث عن مخرج وسط البشر وأصوت وفرسان لا يزالون يجربون فن القيادة، واصل العدو الدخول فى الممرات الضيقة بين الحظائر والسدود، أعمانى الغبار للحظة غير إنى أدركت أن شيء ما يحدث، تحرك العسكرى من جوارى بغتة، كان هو الآخر يجرى تجاة الجواد الجامح غير إنه كان يدرك ما يريد، كان الجواد قد اتخذ طريقه إلى حظيرة عالية الأسوار ليس فيها من سبيل غير المدخل الذى مرق منه، لحظات وأدرك أن الحلقة مغلقة فرتد يريد المدخل الذى سرعان ما ارتقاه ذلك الجندى مموه الثياب فأحكم غلقه أدرك أن كلاهما لن يستسلم من الجولة الأولى فقد كان الباب المخلق ليس فى علو السور من حوله، تراجع الجواد بسرعة ودار يريد قفز الباب، سابق الجندى

الريح وبسرعة بديهية كان قد أحضر لوحين من الخشب ليرتفع الباب ليساوى الأسوار العالية، كان الجواد عند حسن ظنى فلم يستسلم عاد أدراجه إلى مسافة أبعد يحاول التخطي، أسقط فى يد الجندى فحتى لو عنده لوح آخر فأين سيتم تثبيته وقد تساوت الأسوار حول الباب والقفزة ستطيح باللوحين حتما ولن تمنعه من خرق الحصار؟!!.

❖ ❖ ❖

اخترقت أصوات صلاة الفجر الحشود الساهرة فى ميدان التحرير ورفع الأذان والإقامة وانتظم الألف يؤدون الصلاة فى صفوف متماسكة، كان الفجر ممتزجا بصوت ورائحة النيل، أقسم إنى سمعت صوت صياح الديك والكروان يسبح ولا أعلم من أين آتيا، قلت لها: أصدقك فكثيرا ما أسمعهم ولا ألقى لهم بال؟

قالت وهى تجادل :الوقت سيزداد حرارة كلما تقدم النهار، هذه الحشود ستكمل واقفة حتى صباح اليوم الثاني، إذا كان بك تعب فاخطف من الزمن ساعتين راحة؟ انه إقتراح معقول يا ولاء لكن هناك عدد من التسألات لا زال يطن فى رأسى منذ ان رأيتك فى عشاء الاسبوع الماضي، قالت :عادي، اسأل وأنا أجيب فالوقت ما زال مبكرًا على الهتاف الحر المباشر؟ قصدت أن أجعل صوتى خفيضا: سمعت أنك أعطيت الشامى نقودا، مبلغ كبير أليس صحيح هذا الذى وصلنى من صديقتك شهرزاد قالت إنها حملته له

بنفسها؟ ارتسم شيء من الاهتمام على ملامحها: ليس كبيرا بمقاييس ما حدث له ثم إنى أعطيته ما يتيح له الحياة بكرامة، فلا أرحام العرب تقطعت ولا إغاثة الملهوف ماتت فى نفوس الناس، ولكن قل لى ماذا يعنيك فى هذا، شيء بينى وبين ربى كيف تحشر نفسك فية ياخ....يا صديقي؟ قلت وانا اتملص من الهجوم : انت قلتها أنا صديق ، ربما أولادك أولى فى اعتقادي، ربما اعتدت أن النساء ليس من الائق لهن ذلك، ضحكت فى سخرية:الا ترانا تغيرنا من أيام الثورة ومن قبلها، لم يعد هناك ذلك الشيء الذى تدعية، هذا الجزء من الماضى وعموما هذا المال فداء لأولادى ورحمة ونورعلى كل الشهداء الذين سقطوا فى هذا المكان حيث جنة الأطهار والذين سيسقطون إذا قدر الله فى المواجهة والموجة الثانية، غيرهذا الموضوع فقد توليت إلى الظل وقلت ربى لما أنزلت إلى من خير أنا فقيرة إليه حقاً، استجبت سريعاً لم اجد مناصا من اروى لها قصة الحصان فقد كانت مثيرة، تسائلت باهتمام ...هل قفز، هل قفز؟!.

تراجع الحصان حتى الحد الذى يسمح له الانطلاق بالقفز، عبر الجندى إلى اللوحين غير المثبتين جيدا، وقف على الباب يريد صنع عزم لهما بوضعها بين رجلية ، كان وضعة خطيرا جدا فقد كانت إنطلاقة الحصان ستسحقه أو أن تلقيه من منثوراً مقهوراً من ارتفاع، الحصان لا يريد أن يستسلم وكذالك الجندى لا يريد أن يخرج عن السيطرة، إرادة من ستنتصر ؟

توقفت لبرهة وأنا لاهث الأنفاس، استحثتني؛ نعم قفز، جاء على الفاصل بين السور والباب من أعلى شكل المثلث فاغرًا فاه يسمح له بالمرور من تلك الثغرة إلى الخارج مرة أخرى، أبى الحصان النبيل أن يقتـل الضابط أو يصيبه بضرر، فقفز ووقف خلفة وهو معلق على الباب ينظر إليه، ثم لوى عنقه واستمر يجرى فى طرقات النادى؟

مسرحية المحكمة

عرضت فى ١مارس ٢٠١٤ على مسرح حزب الكرامة- وقام بالتمثيل فريق الطلائع بالحزب- إخراج/علاء الدين عبدالحي وإداراة التنفيذ السيدة/ ولاء حبيب.

قبل فتح العرض تعزف الموسيقى بصوت خفيض وثلاثة أصوات تنشد هذه الابيات من الكواليس:

يا بلدى ياللى هواكى شافى طميك ونيلك أساس التعافي

و خيرك يكفى وشعبك يوفى حنان المعاني، شجن يـدفي

عشقـــك دوا قتـــل العـــوا شـهـد مـوزون ومتصفـــي

مكانك هنا، وهنا وهنا (يشير إلى القلب والعقل والعينين) مرسومة على جبينى وعلى كفي.

ملاحظات على المسرحية (المحاكمة) الإخراج والمخرج

أولا- الشخصيات:

المريض: رجل كبير فى حدود الأربعين و ما بعدها وهذا لا يخل بأنها مسرحية للأطفال حيث إن الكبار يعلمون الصغار وهم

مدرسيهم فى المدارس وإعطاء صورة للأطفال إذا أهمل جسده فهذه الحالة توصله إلى حالة المريض فى الكبر.

الممرضة: يستحسن ان تكون فى سن الثانوية أو ثالثة إعدادي.

الأسنان: طفل فى الابتدائية يمكن أن يقول الحوار الدارج بينه وبين المريض وباقى أجزاء الجسم.

البلعوم: ممكن أن تكون فتاة/خاصة أن دورها لطيف وتقوم بتقديم باقى اجزاء الجسم وهى شخصية مرحة.

المرئ: شاب رقيق حسن الصوت ، هادئ وإلى حد ما خجول.

المعدة: شاب رياضى ويظهر ذلك عليه وعلى تصرفاته الجامدة وصوتة القوي.

الأمعاء الدقيقة: رقيقة ولد أو بنت.

الأمعاء الغليظة: غليظة ولد أو بنت

العقل القاضي: هادئ ويتصرف كأنه ملك أو حاكم ويلبس بدلة أو ملابس شيك يأتمر الآخرون بأمره ويلتزمون.

ثانيا- المسرح والمسرحية :

هذه المسرحية ليست بها ديكورات كثيرة، مجرد غرفة مريض وما تحتويه من ستارة فاصلة بين السرير الذى يبان طرفة وينام عليه المريض وكام كرسى ومكان تعليق المحاليل بالخراطيم التى توحى بأنة يتم إعطائة الدواء

عمق المسرح أو المسرح الصغير ليس مهم هنا لان باب الدخول والخروج من الكواليس من باب واحد على الجانب كما فى غرف المرضي.

ثالثا- أعمار الممثلين:

المسرحية يمكن ان يشترك فيها الاطفال من أعمار مختلفة الصغير والكبير قليلا لان أعضاء الجسم صغيرة وكبيرة نسبيا، كما أن الأولاد يدرسون هذه التفاصيل فى كتبهم المدرسية.

رابعا- ملابس الممثلين:

هذه المسرحية ليس فيها ملابس خاصة إلا لبس المرضة، أما المريض فيمكن أن يلبس ما يلبسه المرضي، وأعضاء الجسم تيشرت أبيض مرسوم عليه العضو ويمكن تثبيت العضو المراد بصورة أو لاصق أو تدبيس أو خياطة.

خامسا- الأدوار الرئيسية والثانوية

(من حيث مساحة الدور والكلام)

الدور الرئيسي: المريض- الممرضة- القاضى العقل- المرئ- البلعوم.

الأدوار الثانوية : الأسنان- المعدة - الأمعاء- الغدد.

تفتح الستارة على مريض / أو (مريضة) يتأوه.

سرير ينام عليه ومائدة بيضاء إلى الجانب من المسرح تجلس عليه الممرضة وإلى جوارة المحاليل الطبية مركبة فى ذراعة.

الممرضة: فى إيه تانى ما أنا مركبالك المحاليل، كل حاجة زى الفل.

المريض : مش عارف أنام..الألم هيموتني، شفولى مسكن.

الممرضة: أنا مديالك منوم، جرعتين زيادة على اللى قاله الدكتور. إيه ما فيش فايدة فيك، ، دماغك إيه؟ مصفحة؟

المريض : الله يكرميك بلاش كلام فى السياسة، بتتعبنى أكتر.

الممرضة: هى فين السياسة ديه، أنت بتهلوس آهة.

المريض : مش بتقولى مصفحات ودماغي. و هى السياسة إيه غير مصفحات وشرطة ودما غ، المواطن

الممرضة: لا دا أنت هتفوق عليا، الأحسن أمشي، لو عزت حاجة أضرب الجرس؟؟.(تنصرف بسرعة)

المريض : أنتى رحتى فين، أنا لسه تعبان... تعبان... (يشكل فى الكلمة) تـ...عـ.. بـ...ا.....ن.(يضرب الجرس مرتين).

(يدخل أحد ما يلبس تى شرت عليه صورة فك الأسنان)

المريض : إية ده، هى فين الممرضة، أنا مش عايز رجالة، أنا عايز الممرضة .

الأسنان : متخفشى أنا سنانك ، لا ممرض ولا ممرضة.

المريض : سنانى يعنى إيه ؟.

الأسنان : سنانك اللى جوه بقك، أهة مش عندك سن مخروم (يشير إلى أحد الضروس ويضع أصبعه عليه) حاسس بأيه يا مريض؟.

المريض : ياه... ده بجد... المجرمة ديه حطتلى إيه فى المحاليل، أنا شايف أسنانى قدامي، أمال أنا باتكلم بإيه؟.

الأسنان : أنت بتتكلم بأحبالك الصوتية، بلسانك، بفتح فمك مش بأسنانك، أنت بتاكل بأسنانك، وبتطحن الأكل بأضراسك .

المريض : بس. بس هو أنا ناقصك أنا كل حاجة بتوجعني، أمال أنا هنا ليه ؟.

الأسنان : ما هو ده بالضبط اللى جابنى ليك، ، طول ما أنا فى بقك أنت مش معبرنى خالص، بزمتك مش شامم ريحة بقك ، مش شايف السواد والحفر بين الأسنان (يشير إلى التى شرت).

المريض : أنا أكيد بحلم... فين الجرس (يضرب الجرس).

(يدخل شخص يلبس تى شرت عليه البلعوم)

البلعوم : أنا البلعوم الشهير بالزور، سلامات يا مريض، أنا

بلعومك يا زواوي، عرفت من الأخوة الأفاضل، البق واللوزتين وغدد اللسان أنك عيان، قلت أجى أشقر عليك وبصراحة يا راجل الدكتور قالى حالتك تصعب على الكافر.

المريض : أنا بهلوس بجد، إزاى بلعومى يبقى قصادى كده عادى ويكلمنى كمان.

البلعوم : أنت مضايق لية يا مريض؟..أمال أنت اسمك مريض لية؟.لان كل أعضائك بتشتغل لوحدها ومن غير تنسيق خالص مع بعضها وبربع الكفائة ، أنت عيان يا مريض عيان خالص.

المريض : وليكن بس ما بتتكلمشى مع جسمها كده عينى عينك .دا ضد المنطق والأصول والقانون.

الأسنان : هو إيه ده اللى ضد المنطق، هو أنت أتعاملت معانا بأى منطق ومن أمتى، أنا بقطع وبمضغ واطحن الأكل علشانك، يقعد اللسان يلف بيها زى الغسالة الكهربائية علشان تسهل البلع وتبلع على مهلك، واحفز الغدد اللعابية (ينطقها لعبية) علشان تفرز (تدخل عدد من الصغار تلبس تى شرت مكتوب عليه الغدد وتجرى يمين وشمال) اتفضل يا سيدى آدى الغدد هربت كمان، عمرك غسلت سنانك بأى حاجة مسحوق أو سجنل تو.. لا...

عمرك نضفت أو ريحت من المضغ.. لبان.. لب.. شيشة... بطيخ... شاي.. و كلها بتلزق بين جدران اسنانك واللثة، حد يعالم ينام وهو بيدخن ؟.

البلعوم : بصراحة يا مريض أنا ما لَيش شكاوى معينة منك، إنما وظيفتى مرتبطة بوظايف الأعضاء التانية، ، يعننى أنا بوصل الأكل واقفل وصلة الرئة بلسان المزمار علشان أوصل للمرئ الأكل بسلام، آه أنا سايب الأخ المرئ بره واقف يحضرنا بقى فى المصيبة ديه.

المريض : خلية يجى ما هى كملت ، بس كده، أنا كرشى كله بقى قدامى يجى مترين ، هلمه أزاي؟.

البلعوم : يا مرئ باشا، تعالى المريض بيه عايز يسمع منك؟.

المرئ : (بصوت ناعم) أفندم.

المريض : دة إيه الرقة دي كلها، أشحال ما أنا بصرخ من الألم منك طول الليل.

المرئ : مش ذنبى إنك مش عارف موقعى فين، أنا زى البلعوم أنبوبة بنقل الأكل وخلاص ساقع وسخن بعدي، حامض وحلو كلة ماشى بس إذا أنت بتشتكى أنا كمان بشتكي، علشان ما ينفعشى نشتغل وفى حد طالع عينيه فى خدمة ساعدتك بلا حماية أو رعاية ويوم ما يقع تجيب اللوم علينا.

المريض : هو أنت بتتكلم على حد تانى لسه بيشتكى من إهمالي؟.. ليه (بخضه) هو أنا شرك للدرجة دي ؟.

المـرئ : يا سيد مريض كل أعضائك الآن أصبحت فى ناحية لوحدها.

(المريض ينظر إلى أسفله ويحرك رجليه يمين وشمال وهم يهتزون معه لحركته)

المريض : لا يا راجل أو يا مرئ أنا لسه برضه بتحكم فيهم، طب إية قولك أنا فى المستشفى دي بقالى يجى أسبوع بعالج فى كل الحاجات دي؟.

الأسنان : بس ما اشتغلتش فيا أنا لحد دلوقتى أنا عايز عمرة كاملة وتركيب وإزالة جير وتسوس وسد خروم وطربوش وسنان برسلان كمان.

المريض : يا حبيبى وسيراميك ودهان كمان...هو أنا أقدر أستغنى عنك .. بس بعد ما الوجع يروح.

البلعوم : طيب مادام أنت عايز تستريح أوى كده ومش مقتنع إن كلنا مضرورين من تصرفاتك أجيبلك (بيت الداء).

المريض : آه هو لسه فيه حد مستنى بره كمان، لا متقلش أنا عارفه، المعدة هانم، أو السيد المعدة.. ما تفرقشى .. خش خش.

المعـدة : (من الداخل) أنا مش معتبها إلا ومعايا القاضى الدماغ

رجلة قبل رجلي، علشان ما اصورلوكوش قتيل النهارده.

المريض : (يكش ويجرى يركب السرير) خليه يخش (يكلم المرئ) هو فيه خطورة إن القاضى يجى معاه.

المـرئ : طبعا يا حبيبى ، ممكن يحكم عليك.

المريض : (بأستهتار)بأية؟.

المـرئ : بالموت يا مريض، بالموت.

المريض : (يذهل) للدرجة دي؟.

(المعدة يدخل ومعه العقل القاضي)

القاضي: أنا قلت مش داخل إلا بموافقة المتهم والمجنى عليهم، أحكامى بتتنفذ من غير استئناف.

المريض : لا...أنا المجنى عليه، وهم المتهمين، فيه سوء تفاهم يا سعادة الدماغ..أنا اللى مرمى على السرير، داير على الدكاترة والحُكمة والمحاليل ما بتفرقنيش لحظة واحدة، الأدوية هاريا جتتي...أل...

الأعضاء يمسكو بعض كما يفعل الكورس ويغنون ببقهم لحن: كمنجات تيرارارا تراررااللى ؟

القاضي: كل دا مفهوم...و معروف أنا مش ممكن أأزيك أو أسواء حالتك زيادة...أنا خايف إن أعضائك يتوقفوا عن العمل

وساعتها هتعيش فى الغيبوبة وأكيد هتموت...شارون مات بعد تمن سنين غيبوبة وكانت صحته العامة أحسن منك ٣٠٠ مرة..

المريض : آه..يعنى أنت مش حتحكم..أنت فاعل خير.. طمنتني.

المعدة : لا حيحكم ويحكم كمان لي، هو أنا اللى شفته شوية...

القاضي: طول بالك يا معدة لما آخد مجلسى الأول (يذهب فيجلس على الطالولة) فتحت الجلسة، اللى هيدى شهادتة للمريض يجى هنا واللى هيدى شهادتة لأعضاءه المريضة يجى هنا (الكل يذهب إلى صف الاعضاء المريضة)

المريض : (مخاطبا الأسنان) هو أنا مش قلت لك إنى هعملك طقم وانضفك.

الأسنان : وماله ده بالشهادة، هترشيني، أُمال لو عشت هتمضغ إزاى وبعدين أحنا بنتكلم على الضرر السابق.

المريض : طب وانتا يا بالعوم وأنت يا مرئ؟. (ينظرون للناحية الأخري)

القاضى : و لكى تكتمل القضية نادوا على باقى الشهود.

(تدخل الممرضة)

الممرضة: الأمعاء الدقيقة ، الأمعاء الغليظة.....الـ....

القاضي: كفاية ...كفاية كدة.

المريض : أيوا... هلوا ...هلوا..أنا شامم رحيتكم من الأول.

القاضي: يا مريض أنت متهم، أتكلم بأدب مع الشهود.

الأمعاء الدقيقة: سيدى القاضى أنا بقول أننا نسمع المعدة الأول علشان شكاويها بتصب فى بلاوى وبلاعات شكاوي.

القاضى : طبعا طبعا المعدة جاهز للكلام.

المعدة : (بصوت فخيم) نعم سيدى القاضى الدماغ الطبيب، المهيب الركن...؟

القاضى : بس بس ما تودينا‌ش فى داهية الكلام ده ما بيتهضمشى هنا قصر ومعاك الكلام ومتهبلشي.

المعدة : يا سيادة القاضى أنا أقصد أنى أبين ليكم أن تعب المعدة بيسمع فى كل شى فى جسم الإنسان، حد يصدق إن عقل زيك يتشل من الألم وما يفكرشى رغم أن ما فهوش اى مرض؟. أنا بشتغل معاة ١٨/ ٢٠ ساعة فى اليوم من أصل ٦ أو سبع ساعات زى الكتالوج الربانى ما بيقول دا الرسول قال ما ملئ ابن آدم وعاء أشر من بطنه وأنا فى شر يجى ٣٠ سنة وزيادة عمرة الان يتجاوز الأربعين والغريب إنه مش دريان أشتكيه لمين (تدمع من الألم) حموضة ودهون ووجبات ثقيلة فى نص الليل تدخين

معسل وسجاير وقهوة وبس وحاجات تانية كتير ما اعرفشى اسمها.

المريض : اعترض.المعدة بتلمح لمنوعات وده مش ثابت.

القاضي: اعتراض مقبول مثبتشى من التحليل شىء من هذا.

المعدة : لا يا سيادة القاضى ، المنوم اللى الممرضة ادتهوله ما عملشى مفعوله بسبب ده.

المريض : هعترض. المنوم مشتغلشى من الألم.

القاضى : بصرف النظر يا معدة طلباتك فى واحد إتنين.

المعدة : أنا ما ينفعشى أعيش معاه خلاص كبر وقدراته قلت .

المريض : أنا لسه بمب وحديد وعندى تلات عيال ومستعد أجيب تاني.

المعدة : أول شىء يفهم إنه عجز ويحافظ على الصحة اللى باقية عنده.

القاضى : و بخصوص الأكل؟.

المعدة : يريح اتناشر ساعة على الأقل كل يوم.

المريض : ليه... صايم الدهر ؟

المرئ : وياخد دواه فى معاده ويبعد عن الحاجات الحريفة والدخان وميكترشى القهوة.

البلعوم : بس يا مرئ، أنت كده مش هتخليه يكره الاصلاحات اللى عايزينه يعملها..بالهداوة عليه؟.

المرئ : يا عم بلعوم..يا عم معدة...أنت مش شايف حالته إزاى وبعدين أنا اللى الشطة والطرشى بيبلوا هدومى الأول.

المعدة : على قولك دا ياما دلق سجق ملهلب وكبدة أسكندرانى ومن كتر الحموضة رجعتهم ولا الببى يا جدعان.

المرئ : وصلولى يا حبيبى وهى طالعة زى النافورة.

البلعوم : و طرشتهم أنا فى بقه. (يكمل الأسنان الجملة)

الأسنان: محشتهمشى سيبته يطلعهم على الطرابيزة اللى قصاده.

المريض : إيه فرحانين فيا.. متحوش يا عم القاضي.

القاضي: دا استجواب يا مريض كل واحد يقول اللى عنده .

المريض : طب وبعدين بقي..ما أنا عارف أن حالتى زى الزفت .

القاضي: أحكم أنا بقي..... بعد انتهاء المرافعات.

الأسنان: إذا كنتم هتسبوه يكمل أنا بقى عايز إصلاح لكل الأسنان وبسرعة وبجودة وبشهادة أيزو معتمدة يا بيه أنا الوجهة والابتسامة والضحكة اللى بتبان فيها السنان؟.

الأمعاء : أنا بقول كفاية خدمة خمسة وأربعين سنة ما عدتش مستحمل الانتفاخ واللعبكة .

البلعوم : أكيد ليه مبررات، نسمع منه مش جايز نوصل لحل وسط،

حلو يا حلو.

المريض : يا سيادة العقل القاضى والطبيب المعالج، كل شىء فى الدنيا لية سبب وانا بتهم المرئ إنه السبب فى حالتى الوحشة ، الوحلة دي ؟.

القاضي: بالعقل كدة المرئ عبارة عن أنبوبة بتوصل للمعدة ، حشرت أى حاجة فى بقك بتوصلها.

المريض : ما هو بالعقل برضة العيب مش فى الأكل. العيب فى المرئ أنا بتهمة إنه غير أمين فى التوصيل، العيب مش من عندى يا جماعة.

القاضي: إيه قولك يا مرئ؟.

المـرئ : مرئ مرئ مرئ والله برئ، لافف ورق القضية فى سرى وأنا الضحية تهمة فى حكم الغبية ، فيه بلعوم قبليا ماسك الحتة ديا(يمسك رقبتة من تحت الذقن كما يفعل الناس عادة وهم يقصدون ان هناك من يخنقهم بتصرفاتة أو كلامة) واى حمار حصاوى يفهمها يا عبقرية، أنا فية قبليا بوابة عليها مسئولية، فاتحة الهوا والصوت مش بس للاكل والمية، لسانين وحنجرة وبلعوم فى الخلفية، قد منى قصبة هوائية...يا مريض يا اللى مش لامم أصل وفصل القضية العيب أصله إسرافك وعمايلك المؤذية، ولو انت بس فاهم مكنتش جيت عليا.

الأسنان : عادى بقى يا مرئ، مريضنا غاوى فهلوية عمره ما راح لدكتور إلا المرة دي ...عشان مشاكله عصية عاجلة ومش مستنيه، اسمع منه وفوت، الكدب مش خطية.. وبلادنا ديموقراطية وحاطة لعلاجه ميزانية، وعشان يعيش ونعيش نتفاهم بعصرية، حبة عفوية على شفافية على تقلية بالملوخية، تخلية ميه فى الميه؟.

المريض : يا اولاد القرعة، انتوا هتقسموا عليا؟.

القاضي: بس منك لة، هو مفيش إحترام بتتشنقوا وتشكلوا على بعض فى أغنية ، نظام، المحكمة مش بتلعب معاكوا والتحذير للكل استأصال العضوا الفاسد سبب المشكلة حتى لو ضحيت بالجميع، أو المريض ذاته..

المريض : لا لا أنا هو ملتزم السكوت.(بخوف)

القاضي: لا أتكلم لما أسائلك جاوب...أنا اقتنعت بدفاع المرئ واتهامك غير صحيح... والسنان شهد فى صفة.. ها عندك أقوال تانية قبل ما أحجز القضية للحكم؟.

المريض : عندى وأمرى لله..الأمعاء..

(يقاطعه القاضى بصوت عالى شاخط غاضب من التسويف)

القاضي: الدقيقة والاّ الغليظة حدد يامتهم ؟

المريض : الغليظة (لنفسه) [الدقيقة ما اعرفلهاش وظيفة]..

الغلظية يا سيادة القاضى هى المسئولة فى نظرى مبتشتغلشى كما يجب فيتراكم الاف والقرف من المخلفات وتاخد وقت طويل عقبال ما تخرجهم أكون زحمت أنا الدنيا باكل جديد .

القاضي: يعنى دلوقتى مشكلة التصريف عندك مسدودة البلاليع والمواسير فيها مشكلة...

المريض : بالظبط.؟؟

القاضي: يا غليظ يا غليظ. صحية

(الغليظ نائم بجد ويقوم الأمعاء الدقيقة بهزة)

الدقيقة : أصحى ياا غليظ العقل بينبهك.

الغليظ : خلاص ، جاهز للاخراج يا ريس ، البلاوى لما بتوصل بكون جاهز.

القاضي: المريض بيتهمك بالكسل والنوم فى الخط وبتراكم الفضالات لحد الانتفاخ، مسدودة عندك وبتسد عند الادوار (الطبقات) العليا وقربت توصل للنفوخ.

الغليظ : يا سيدى مشاكلى تنحصر فى الاسهال والامساك وعلى غير الشائع عنى أنا مش ضرورى أخرج الزبالة كل يوم... ولكن عادات المريض الغذائية عرضتنى لمشاكل كتير.. مش أمراض، دى فى أوقات بتيجى ما فيهاش غير

النواشف لا فى خضار أو الياف أو ميه تسهل عملية الحركة، أوقات كل الأكل ملوث وسوائل ..

القاضي: يعنى انت بتتهم المريض بأيه؟.

الغليظ : ما عندوش وعى ولا عادات غذائية سليمة، حابب الرمرمة والاكل السوقي،،، حليت كتيرمن طفاسة اكلة وفاض عندى من مشاكلة أكوام أكوام.

الدقيقة : دقيقة يا سيادة القاضي، أنا بضم صوتى لصوت الغليظ ياما مصيت ملوثات صناعية ومية طرشى بالهباب.. داخلى يا سيادة القاضى (جزء يسمى الأمعاء الصائمة) كل شيء مفيد يمتص هناك والباقى يرحل إلى باقى أجزائى، فيتم اخذ كل شيء ينفع أو يحتمل ان ينفع والباقى إلى الغليظ عدل.

الغليظ : وظيفتى امتص المية وأصلب الفضلات بالحركة عبر القولون وارميها لبره الجسم ، ، جسم المريض وأرجوك إسأله بيروح الحمام ولا لأ ؟.

القاضي: جاوب.

المريض : أيوه ..أيوه بروح مره واحد.. بس فى اليوم .

الغليظ : ظهر الحق أنا مش مطلوب منى أكتر من عدة واحدة.

المريض : إفرض عايز اصرف مرتين فى اليوم؟.

الغليظ : ركب مصارين عمولة بقى ؟.

المريض : شفت يا سيادة القاضى مصارينى مش مطوعانى .

القاضي: لا لا يا مريض أنت بتتلكك قول كلام يتعقل فيه أجهزة سيادية وحساسة مينفعش تشتغل بالأمر وحسب الطلب، الظاهر إن التمرد ده على حق... نسمع الممرضة كدة، عن حالتك تحدثنا بما أنها متابعة الحالة من أسبوعين .. يا آنسة الرحمة حالته إيه ؟.

الممرضة: أنا ما كنتش عايزة اتكلم، أكل المستشفى مش عاجبه ونازل تدخين شاى وقهوة مش عارفة منين؟.

القاضي: و هل هذا يجوز؟.

الممرضة: لا طبعا.. بيروح التراس أو الممر ومع تعبه بيسهر بالليل لوش الفجر وهات يا طلبات.

القاضي: و الدوا؟.

الممرضة: أنا شعرى بشده من عمايله ومن بلاه، جرس فى كل ساعة وتحكمات الطغاة، إن جيت شلت قالي: حطى يا فتاة، وإن تركت الأكل ساعة اشتكانى مُر الشكوى (فرج عليا أمة لا إله إلا الله)..، حط عينى فى وسط راسى ولا عسكرى انتباه، يرحم أمه استحملت زن السنين طين وعجين وياه.

القاضي: لا حول ولا قوة إلا بالله...كل ده فى أسبوعين ؟.

الممرضة: ده أنا قلبى معبى تراب.. و لسه ما قفلشى الحساب... شبت وانا لسه شباب...لا عايزه فلوس ولا عايزه ثواب...دعائى يا رب الرحمة...يا تشفيه يا تريحنى من العذاب.

القاضي: خلاص خلاص شهادتك وصلت إحنا عطلناكى كتير ممكن تنصرفي...(تغادر المسرح)

المريض : استنوا..أنا مش وحش للدرجة دي..أنا يمكن وانا عيان زودتها شوية بس....؟!

المعدة : مش قلتلكوا الراجل المريض مش تاعبنا إحنا بس، ده كل اللى حواليه بيشتكوا...

الأمعاء: يا سيادة القاضى إحنا عندنا حرقان والتهابات بتستمرار دا غير الزعيط والطيط ولا مزلقان باب الحديد.. ده غير الريحة اللى بيشمها القريب والبعيد..

(يقاطع)

المريض: دا حيشعر.

القاضي: خلاص يا غليظ الله يقرفك (يمسك أنفه) الكمياوى ده واجب يستخدموه فى المظاهرات.

الغليـظ : دى الريحة بس يا سيدنا أُمال لو شفت الباقي.

القاضي: قلت خلاص خلاص أتسد وامسك نفسك.

الدقيقة: مسخرة والله يا مريض كنت عايش إزاى وسط الناس؟.

المريض : عادى جداً الحاجات دي بتطلع عادى ..

المرئ : يا راجل والتكريع برضه عادى (يقلد) بهئ بهئ.

القاضي: خلاص الفضايح والغسيل الوسخ بزيادة بقي..

المريض : شفت يا حضرة القاضى أنا المجنى عليه والضحية ، أنا المريض التعبان الشقيان (يقاطع).

البلعوم : قصدك الثعبان (ينطقها التعبان).

القاضي: ده تجاوز أنا لا يمكن أسمح بيه.

المريض : خلاص خلاص أنت وضميرك يا قاضى أحكم وأنا راضى بحكمك أنا عرفت اللحظة دي الخلل فين ؟.

القاضي: خلاص يا مريض المسئلة واضحة.. والكل أجمع حتى الجمهور إن الأسنان براءة والبلعوم والمرئ والمعدة والأخوة الأمعاء كمان.. واضح إن الغلط عندك أنت.

المريض : الغلطة عندك أنت ؟!.

القاضي: ده سؤال اتهام ولا إقرار بالإجابة ؟.

المريض : ده ردى عليك (الغلطة عندك أنت).

القاضي: أنت بتتجاوز حدودك يا مريض.

المريض : لا لأنك العقل والتفكير ومركز القرار والعادات والسلوك والمرشد ولا أقولك بلاش حكاية المرشد دي لإن اللى بيفكر ما بيحتجشى مرشد يفكر له.. أنا عليَّ المسئولية وأقر بأهمالى وإسرافى لكنك أيضا شريكى فى الخطأ...كل حاجة بتمر عليك علشان تقررها.. متجيش تحاكمنى دلوقتى أنا مفيبتكشى ولا يوم واحد ولا خدرتك وأنا باكل واشرب واشتغل وأشيل واحط ...دي مسئولية شايلنها سوا...أنا أقريت بغلطي فاضل أنت كمان تقر بغلطك.

القاضي: مش سهل يا مريض ...أنت بتجرنى لصراع الأعضاء ..

المريض : زى ما انت حبيت تجرنى ليه يا سيادة العقل لأنك كنت هتحكم عليا وأنت عارف إننا واحد فى جسم واحد أنت عملت زى اللى أشعل حرب أهلية بين الناس وهتبقى النهاية المؤكدة هى الموت وخراب الديار...ما ينفعشى نحارب بعض ونحمل لبعض الأخطاء... لازم فى حل..لازم في حل.

(الجميع يشارك فى الغناء)

توقـظ النائـم كلمـة والظمآن تنقذه قطرة

سكرة المخدور فكرة والمحزون لحظة عبرة

كل ركن فى العمر حياة وذلك سحره

أن ترى السنوات روحً

بالاغانى والتهانى والأماني

و الثمار الخضر يانعات فى العلالي

فانتصف فى الوقت ولا تغالى واستبقى قوة لليوم التالي

(تغلق الستارة)

أحمد محمد جلبي

- مستشار ومُحكم دولى معتمد.
- نشرت أعماله فى العديد من الصحف والمجلات الأدبية، وله دراسات نقدية وأخرى سياسية، ومقالات نشرت فى حينها فى الأهرام المسائى، روزاليوسف ومجلة نادى القصة والثقافة الجديدة.
- منسق عام جائزة سلوى علوان الثقافية موسم ٢٠١٥، دورة الكاتب الكبير فؤاد قنديل.

المحتوى

التركى حامل الرأس ٧
طعن فى حكم الحب ١٣
قادمة من بعيد ١٩
حدود تبين المجال ٢٥
شجرة على مساحة الضوء ٢٩
العميلة كورال سي ٣٣
ليلى والمنصور ٤٧
القارئ ٥٥
الثالثة بعد الزوال ٦١
عاشقة الليل ٦٧
ولم يقاطعنى أحد ٧١
ضوء التباشير ٧٩
التبكير بالغد ٨٣
قانون مولاتى ٨٩
فى حدود الممكن ٩٧
المتسائل بنعم ١٠٣
صهوة القمة التالية ١٠٩
على باب رحمتك ١١٥
حتى أنت تموت ١٢١
حرب توته الخاصة ١٢٥
الثورجية والصحبجية ١٢٩
مسرحية المحكمة ١٣٥